شخصية المسلم بين الفردية والجماعية على ضوء الكتاب والسنة

د. السيد محمد السيد نوح

تقديم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، والسالكين سبيله، والداعين بدعوته إلى يوم الدين... وبعد.. فإن الأمة الاسلامية تعاني في الوقت الحاضر، أكثر من أي وقت مضى من كثير من العلل، ومن كثير من الأمراض، بيد أن أخطر هذه العلل، وتلك الأمراض، وأشدها فتكا بحياة هذه الأمة إنما يكمن في: خراب الشخصية المسلمة، أو على الأقل فقدانها توازنها من كل النواحي الفكرية والروحية والبدنية، بل واستمرار هذا الخراب أو الخلل، حتى صارت هذه الشخصية شخصية أنانية، خوارة، جبانة، يائسة، قنوطا، انطوائية، انعزالية، امّعة، تحب النوم والراحة، وتستمرىء الذل والهوان، إلا من رحم الله.

أجل: لقد كان خراب الشخصية المسلمة، أو على الأقل فقدانها توازنها من كل النواحي بل واستمرار ذلك هو من أخطر ما نزل بهذه الأمة من علل وأمراض، وأشدها فتكا بها، نظرا لأنه انتهى بها الى الفرقة المستمرة، والتمزق الدائم على كل المستويات الداخلية والخارجية، الشعبية والقيادية، وكذلك انتهى بها الى القعود عن أداء رسالتها، وهذا الواقع أطمع فيها أعداءها وأوقعها فريسة بين أنيابه وفي فكيه، حتى صارت تابعة له في كل ما يصدر عنها من أقوال وسلوكيات بل حتى في الخواطر والمشاعر النفسية.

ولا بد أن تتحرر هذه الأمة من كل تبعية، وتعمل على استعادة مركزها

ومكانتها بين أمم الأرض، لتضمن لنفسها حياة طيبة كريمة في الدنيا، وفوزا ونجاة في الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2].

هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى حتى نحفظ على هذه البشرية الهائجة الجامحة حق الحياة، إذ البشرية اليوم أشبه بمجنون في حالة هياج وجماح شديدين، يريد أن يدمر غيره، وأن يقتل نفسه، حسبنا أنها خاضت حربين عالميتين في أقل من نصف قرن من الزمان، تكبدت فيهما خسائر مادية وبشرية تكاد تجعل الولدان شيبا.[3].

والحرب العالمية الثالثة على الأبواب، ولو وقعت ـ لا قدّر الله ـ لأتت على الأخضر واليابس، وتكون نهاية العالم، بسبب التقدم النووي الهائل لا سيما في مجال العلوم العسكرية، وليس على وجه الأرض اليوم، وإلى أن تقوم الساعة، أمة قادرة على القيام بهذه المهمة ـ أعني مهمة حفظ الحياة على البشرية جميعا ـ سوى الأمة الإسلامية، إذا هي التزمت بإسلامها.

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة طه: ١٢٣.

(٣) بلغت جملة خسائر الحرب العالمية الأولى والثانية حسب آخر الاحصائيات التي نقلها الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ص٢٢٣، ٢٢٤ الأرقام التالية: «٢١ مليون نسمة أصيبوا في الحرب العالمية الأولى، القتلى منهم ٧ ملاين، ٥٠ مليون نسمة أصيبوا في الحرب العالمية الثانية، وبلغت تكاليف قتل رجل واحد في الحرب الأولى ١٠٠٠٠ جنيه، أما مجموع نفقاتها فيبلغ سبعة وثلاثين مليونا من الجنيهات، وقدرت نفقات الحرب العالمية الثانية لساعة واحدة بمليون من الجنيهات، وذلك كثير لو قورن بما وقع في عصر النبوة، إذ لم يزد عدد المقتولين من الفريقين (المسلم والكافر) في جميع الغزوات والسرايا والمناوشات التي ابتدأت من السنة الثانية من الهجرة، ودامت الى السنة التاسعة، على ١٠١٨ نسمة، المسلمون منهم ٢٥٩، والكفار ٧٥٩».

لا بد إذن أن تتحرر الأمة الإسلامية من كل تبعة، لتمسك بزمام الحياة مرة أخرى، وتوجهها التوجيه الصحيح الذي يسعدها، ويحفظ حق الحياة لغيرها من الناس. وسبيل ذلك أن تبدأ من حيث انتهت، أو وقفت كما قدمنا عند خراب الشخصية المسلمية، أو فقدانها توازنها من جميع النواحي الفكرية والروحية والبدنية إلا من رحم الله.

إذن فلتبدأ من هذه النقطة، ولتعمل جاهدة على ايجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير، المتأبية على كل خصال الشر، المستأهلة لعون الله وتأييده ونصره والتي شعارها في هذه الحياة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

ولعل أول لبنة في بناء هذه الشخصية المنشودة، إنما هي المعرفة أو الفقه أو الفهم الدقيق الواعي لأبعادها ومعالمها، التي ينبغي أن تكون عليها، والمنهج الأمثل لتحقيق هذه الأبعاد، وتلك المعالم.

من هذا المنطلق كانت هذه الدراسة: «شخصية المسلم بين الفردية والجماعية على ضوء الكتاب والسنة»، وانها لدراسة بسيطة متواضعة من أجل المشاركة أو المساهمة في تكوين هذه اللبنة. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

مدخل

لا يشك عاقل يحترم نفسه في أن الإنسان ـ كغيره من المخلوقات ـ صنعة الله، خلقه ليكون سيداً في هذا الكون، عبداً لرب هذا الكون:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ..﴾[1]، ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..﴾[2]، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ..﴾[3]، وحتى يتمكن الانسان من القيام بهذه المهمة ـ أعني مهمة السيادة في ضوء العبودية لله رب العالمين ـ زوده الله في ذاته وتكوينه بما يعينه على ذلك، فخلقه مؤلفا من جسد وعقل وروح، أو من مادة ونفس أو معنى:

﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ﴾[4]، وأمد النفس أو المعنى بطائفة من الغرائز تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية، كل غريزتين منها متجاورتان في النفس، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه: الخوف والرجاء، الحب والكره، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية، الإيمان بما تدركه الحواس، والإيمان بما لا تدركه الحواس، حب الالتزام والميل الى التطوع، السلبية والإيجابية، الاستعلاء والتواضع، الشدة واللين... وهلمّ جرا. كلها غرائز متوازية ومتقابلة ـ كما نرى ـ وهي بتوازيها وتقابلها تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة، وكأنما هي أوتاد متفرقة متقابلة تشد الكيان كله،

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) سورة السجدة: ٧ـ٩.

وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه، وتفسح مجال حياته، فلا يحصر في نطاق واحد، ولا في مستوى واحد[1]، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[2]. بيد أن أداء كل غريزتين من هذه الغرائز المتوازية المتقابلة لهذه المهمة، مشروط بتنمية بل وتحقيق التوازن بينهما، بحيث لا تطغى أو لا تبرز واحدة منهما على حساب الأخرى، وذلك ما أرشد إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[3]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[4]، وهو ما وعاه وانتبه اليه سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - حين قال: «خالط الناس ودينك لا تكلمنّه»[5].

الفصل الأول

الفردية والجماعية عند الإنسان

وتعد الفردية أي الاعتداد بالنفس، والحفاظ على ذاتيتها واستقلالها وكيانها، وكذلك الجماعية أي الميل إلى العيش في الجماعة، والتعايش معها من الغرائز الأساسية المزدوجة في الكيان الإنساني، كل واحدة توازي الأخرى، وتقابلها أو تضادها، كما يشهد بذلك واقع الإنسان نفسه، فإننا نرى الطفل وفيه حرص منذ نعومة أظفاره على اعتداده برأيه، ورغبته في الاستقلال بنفسه، في

(١) منهج التربية الاسلامية، للأستاذ محمد قطب ١٢٦/١ بتصرف.

(٢) سورة الشمس: ٨٠٧.

(٣) سورة الأعلى: ١٤.

(٤) سورة الشمس: ٩.

(٥) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح «معلقا»: كتاب الأدب: باب الانبساط الى الناس وقال ابن مسعود خالط الناس: ٣٧/٨. ووصله ابن حجر في: الفتح ٥٢٦/١٠ قائلا: «وهذا الأثر وصله الطبراني في: الكبير من طريق عبد الله بن باباه بموحدتين عن ابن مسعود قال: خالطوا الناس وصافوهم بما يشتهون ودينكم لا تكلمنه، بضم الميم للجميع، وأخرجه ابن المبارك في كتاب البر والصلة من وجه آخر عن ابن مسعود بلفظ: خالقوا الناس وزايلوهم في الأعمال، وعن عمر مثله ولكن قال: وانظروا ألا تكلموا دينكم».

الوقت الذي يميل إلى مخالطة أقرانه وأترابه، والتنازل عن بعض حظوظ نفسه، وخفض الجناح لهم، ومحاولة الذوبان فيهم، والتعايش معهم.

وكما تشهد بذلك بعض النصوص الشرعية التي تتضمن مسؤولية الإنسان عن عمله، فردية كانت هذه المسؤولية أو جماعية، كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[1]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[2]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[3]، ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[4]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[5]، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[6]، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾[7]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[8]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[9]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[10]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[11]، ﴿وَإِن

---

(١) سورة الاسراء: ١٣.

(٢) سورة فاطر: ١٨.

(٣) سورة النجم: ٣٠-٤١.

(٤) سورة الطور: ٢١.

(٥) سورة المدثر: ٣٨.

(٦) سورة عبس: ٣٧.

(٧) سورة القيامة: ١٤،١٥.

(٨) سورة آل عمران: ١١٠.

(٩) سورة الأنفال: ٢٥.

(١٠) سورة التوبة: ١٢٣.

(١١) سورة محمد: ٧.

طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾[1]. وهذا التوازي مع التقابل أو التضاد إذا أحسن توجيهه، ووضع في مساره الصحيح، فإن له دوره الايجابي ، وأثره الفعال في النفس البشرية، وفي واقع الحياة.

أما إذا أهمل وانحرف عن مساره الصحيح، فإنه يؤدي الى التناقض والقلق في داخل النفس وبالتالي الخلل والاضطراب في واقع الحياة.

يقول الأستاذ محمد قطب:

«الفردية والجماعية من الخطوط المزدوجة في كيان الإنسان، هذا الخطان المرتبطان المتناقضان: إحساس الإنسان بفرديته، وإحساسه إلى الميل إلى الاجتماع بالآخرين، والحياة معهم كواحد منهم، وهذه الظاهرة ذات أثر بالغ في الحياة البشرية .فكيان المجتمع كله قائم على محاولة التوفيق بين هذين الخطين المتناقضين في الظاهر، ومدى النجاح في عملية التوفيق، إن في صميم الفطرة هذين الخطين، وكل منهما حقيقة، وكل منهما أصيل، والتناقض يحدث في باطن النفس، كما يحدث الاضطراب في واقع الحياة، حين تزيد النسبة المقررة لكل واحد، فينحرف عن مساره، ويعتدي على مسار الآخر، ويشده إليه، أما حين يأخذ كل منهما مداره الصحيح، فلن يحدث التنافر بين الفرد والجماعة، أو يحدث الشقاق، لا بد من إنسان متوازن في فرديته، ومتوازن في ميله للجماعة وتعاونه معها، وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصا حقيقيين، لا أصفارا ولا نكرات، أشخاصا لهم وجود واقعي، متساندين في الوقت ذاته «صفا كأنهم بنيان مرصوص»[2].

ولئلا يكون كلامنا نظريا مجردا، فإننا سنسوق الآن الآثار الإيجابية والسلبية لكل من الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي واقع الحياة.

(١) سورة الحجرات: ٩.

(٢) منهج التربية الاسلامية: ١٩٩١/١، ٢٠١، ٢٠٣.

الفصل الثاني
آثار الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي واقع الحياة

قدمنا أن لكل من الفردية والجماعية آثارا إيجابية، وأخرى سلبية على كيان المسلم وفي واقع الحياة، بحيث إذا نمت كل واحدة منهما بالقدر المطلوب أو المناسب، ولم تتعارض أو لم تتناقض مع الأخرى، كانت الآثار الإيجابية التي تسعد الإنسان، وتطيب بها الحياة، أما إذا أهملت وزادت إحداهما على الأخرى أو تلاشت، كان شقاء الإنسان، وفساد الحياة، وإليك هذه الآثار:

أ ــ **الآثار الإيجابية للفردية:** وتتلخص الآثار الإيجابية للفردية على كيان المسلم وفي واقع الحياة فيما يأتي:

(١) إعمال النظر والفكر: ذلك أن المسلم يشعر أن غفلته عن النظر في نفسه وفيما حوله، وخموله عن أعمال فكره فيهما، يتيحان الفرصة لسيطرة غيره عليه، ممن يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، بل والحيلولة بينه وبين أن يحيا الحياة العادية التي ينشدها كل إنسان عرف إنسانيته في هذه الحياة الدنيا، هذا فضلاً عن كونه قد عرّض نفسه لغضب الله وعقابه. إذ يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعقيبا على الآيات الأخيرة من سورة آل عمران ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**﴾ إلى قوله: ﴿**ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد**﴾ يقول: ﴿**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**﴾[1]. لذا فإن المسلم الذي

(١) الحديث جزء من حديث طويل أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٤٤٠-٤٤١ من طريقين عن عطاء، الأول بلفظ: «انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ فدخلنا عليها، وبيننا وبينها حجاب، فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: زر

أحسّ بفرديته ووجد ذاتيته، حريص على إعمال النظر، وإجالة الفكر فيما حوله، أو في كل ما يحيط به، من أجل تطويعه والانتفاع به ـ مرضاة لله أولاً، ثم حفاظاً على هذه الذاتية أو الفردية ثانيا.

(٢) مضاعفة النشاط والجهد: ذلك أن المسلم يدرك أن تراخيه وتقصيره في بذل النشاط والجهد يمكنان غيره من أعداء الله من سبقه والإمساك بزمامه، نظراً لأن الحياة تقوم على السبق والمغالبة، على حدّ قول القائل:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا[1]

الأمر الذي يحول بينه وبين الحياة الحرة الأبية الكريمة، هذا فضلا عن كونه قد خالف بذلك أمر الله ورسوله، إذ يقول الحق سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[2] ، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3]، وإذ يقول النبي صلى الله عليه

غبّا تزدد حبا، فقال ابن عمر ذرنا، أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبكت وقالت: «كل أمره كان عجبا»، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: ذريني أتعبد لربي ـ عز وجل ـ قالت: فقلت: والله اني لأحب قربك، واني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ، ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح. قالت: فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي، وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»، والطريق الأخرى بنحوه، ثم عزاهما ـ أي ابن كثير ـ الى ابن مرهوية، وعبيد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن حبان.

(١) البيت من قصيدة: «ذكرى المولد» لأمير الشعراء أحمد شوقي كما في الشوقيات ٧١/١.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة الحديد: ٢١.

وسلم: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمّى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر»[1].

وعليه.. فإن المسلم الذي اكتملت فرديته، وأحس بذاتيته ـ حريص على مضاعفة النشاط والجهد من أجل السيطرة والإمساك بزمام الحياة، بل وتوجيهها نحو النافع المفيد، الذي يسعده ويسعد البشرية، ويسمو بها إلى العلياء في كل مكان، مرضاة لله أولا ثم صيانة لهذه الذاتية أو الفردية ثانيا.

(٣) المشاركة بالرأي الفعال: ذلك أن المسلم يعي أن الحياة مليئة بالمواقف الغامضة، والقضايا المشكلة، وأن النجاح في الخروج من هذه المواقف، وتلك القضايا، يوجب المشاركة بالرأي الفعال، وإلا فإن هذه المواقف الغامضة، وتلك القضايا المشكلة، ستسد الطريق في وجهه، وتقعد به عن متابعة المسيرة إلى نهايتها. لهذا فهو يحرص ـ بدافع من دينه أولا، ثم بدافع من ذاتيته أو فرديته ثانيا ـ على المشاركة بالرأي الفعال في كل ما يعترض طريقه، من أجل الاستمرار في المسيرة الى نهاية الشوط الأخير فيها.

(٤) القدرة على مجابهة مشاق وتكاليف الطريق: ذلك أن المسلم يعلم أن الطريق كلها مشاق وتكاليف، وما لم يجمع همته، ويعلي إرادته، ويقوي عزيمته، فإنه لن يستطيع مجابهة هذه المشاق، وتلك التكاليف، الأمر الذي يؤدي إلى هلكته، وبالتالي غيابه عن مسرح الحياة، هذا فضلاً عن كونه قد عرّض نفسه بذلك للحساب والمساءلة غداً من الله سبحانه وتعالى، نظراً لأنه لم يجاهد نفسه، ولم يعودها الصبر والتحمل: ﴿...**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا**

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب فضائل الجهاد: باب ما جاء في فضل من مات مرابطا ١٦٥/٤ رقم ١٦٢١ من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا به، وزاد: «وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المجاهد من جاهد نفسه» ثم عقب عليه الترمذي بقوله: «وحديث فضالة حديث حسن صحيح».

معكم، يهلكون أنفسهم﴾ لذا فهو حريص ـ بدافع من دينه أولا ثم بدافع من ذاتيته ثانيا ـ على جمع همته وإعلاء إرادته، وتقوية عزيمته، حتى يتمكن من مجابهة مشاق وتكاليف الطريق، فيبقى حاضراً على مسرح الحياة مؤثرا فيها، ويسلم غداً من الحساب والمساءلة.

(٥) الجهر بالحق وحمايته من تطاول المتطاولين، وعبث العابثين: ذلك أن المسلم يدرك أن السكوت عن الجهر بالحق، والتقصير في حمايته بعد النصح بالحسنى، يفسح المجال أمام الباطل، فيتطاول المتطاولون ويعبث العابثون، وتتحول الأرض بعد فترة من الزمان إلى بؤرة من الشر والفساد، وينعكس ذلك أول ما ينعكس عليه شخصياً، فتصادر حريته، ويحال بينه وبين أن يحيا الحياة الأبيّة الكريمة، هذا فضلاً عن عقاب الله الذي ينتظره في الآخرة، وقد صور القرآن الكريم والسنة النبوية عاقبة هذا السكون وذلك التقصير، في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (١)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾(٢). وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مثل المدهن في حدود الله، والواقع فيها، مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذي في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسا، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه وأنجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»(٣).

---

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

(٢) سورة الحج: ٤٠.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الشهادات: باب القرعة في المشكلات ٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، والترمذي في: السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤/٤٧٠ رقم ٢١٧٣ كلاهما من حديث النعمان ابن بشير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعا به، واللفظ للبخاري.

وعليه فإن المسلم حريص ـ بدافع من دينه أولاً ثم بدافع من فرديته ثانياً ـ على الجهر بالحق وحمايته بكل ما يملك من قوة، لئلا يتطاول عليه المتطاولون أو يعبث به العابثون، فيهان في نفسه، وتفسد الحياة.

(٦) الدفاع عن النفس وسائر الحرمات: ذلك أن المسلم يوقن أن وقوفه مكتوف الأيدي أمام كل من يعتدي عليه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في باقي الحرمات، يجعله هدفا لكل غاد ورائح، الأمر الذي يحول بينه وبين التفرغ لأداء مهمته أو رسالته في هذه الأرض، هذا فضلاً عن كونه قد خالف هدى الإسلام في ضرورة الدفاع عن النفس وعن سائر الحرمات، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد»[1].

لذا فهو حريص ـ بدافع من دينه أولاً، ثم بدافع من فرديته أو ذاتيته ثانياً ـ على الدفاع عن نفسه، وباقي المحرمات بكل ما يملك من إمكانات ووسائل، حتى يظلَّ ماضياً في أداء مهمته أو رسالته، فيظفر بالحياتين: الأولى والآخرة.

(٧) الطاعة في غير المعصية: وذلك أن المسلم يؤمن أن اتخاذ أمير أو ولي أمر ـ فوق أنه شرعة ودين ـ فهو ضرورة لا بدّ منها، نظراً لأنه يساعد على وضع الأمور في نصابها والقضاء على الفوضى في حياة الناس، فيسهل الانتفاع أو استغلال الجهد والوقت والمال. ويؤمن كذلك أن هذه الطاعة مشروطة بكونها في غير معصية، لتجنب الأخطاء التي هي من طبيعة البشر، بل لتجنب التسلط أو الاستبداد الذي يقتل الرجولة، ويقضي على الحرية والكرامة، فضلاً عن كونه

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن كتاب السنة: باب في قتال اللصوص ٤/٢٤٦ رقم ٤٧٧٢ والترمذي في: السنن: كتاب الديات: باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ٤/١٣٠ رقم ١٤٢١ كلاهما من حديث سعيد بن زيد مرفوعا به، واللفظ لأبي داود، وقال الترمذي عقيبه: «هذا حديث حسن صحيح».

يعرّض لغضب الله وانتقامه.

لذا فإن المسلم حريص ـ بدافع من دينه أولاً، ثم بدافع من فرديته ثانياً ـ على الطاعة المبصرة، أي التي تكون في غير معصية الله ـ عز وجل.

(٨) بذل وقبول النصيحة: ذلك أن المسلم يدرك أن الخطأ شأن الإنسان وطبيعته وأن علاج هذا الخطأ إنما يكون ببذل النصيحة للغير، وقبولها من الغير، وإلا تراكمت الأخطاء وكان الهلاك والبوار.

لذا فهو يحرص على مرضاة لله أولاً، ثم حماية لفرديته ثانياً ـ على بذل النصيحة مقرونة بشروطها وآدابها، بل وعلى قبول هذه النصيحة من الغير إن كان الخطأ منه، لتظل النفوس صفحة بيضاء، ولتطيب الحياة.

(٩) محاسبة النفس: ذلك أن المسلم لا يخفى عليه أن الخطأ سمة البشر، وأنه ليس عيباً أن يخطىء، وإنما العيب كل العيب أن يصرّ على الخطأ، ولا يخفى عليه كذلك أن محاسبة النفس سبيل من أنجح السبل للتعرف على عيوب النفس وآفاتها، ثم علاجها والتطهر منها، كما قال الله ـ عزل وجل ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾[1].

لذا فهو حريص ـ مرضاة لله عز وجل أولاً، ثم صيانة لفرديته ثانياً ـ على محاسبة نفسه. لئلا تتراكم عليه الأخطاء، فتضطرب النفس من داخلها، وبالتالي تفسد الحياة.

ب ـ الآثار الإيجابية للجماعية: وكذلك الجماعية إذا نَمَت في النفس بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقص، فإن لها آثاراً إيجابية على كيان المسلم، وفي واقع الحياة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) سورة الحشر: ١٨.

(١) اكتشاف النفس: أي مساعدة المسلم على اكتشاف شخصيته وما تنطوي عليه من كمال، أو نقص قوة، أو ضعف، ذلك أن الإنسان مهما يكن ذكاؤه ومهما تكن فطنته، لا يمكنه وحده التعرف على أبعاد شخصيته معرفة دقيقة، وإنما لا بد له من آخرين يساعدونه على ذلك، وعلى سبيل المثال لا الحصر، لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما في شخصيته من أثرة أو أنانية أو إيثار وتعاون، إلا إذا عاش في جماعة، وخالط أفرادها، ورأى أصحاب الحاجات منهم، ثم يبصر نفسه هل تقسو وتجمد؟ فتشح وتبخل، حينئذ تكون الأثرة والأنانية، أو ترق وتلين؟ فتجود وتعطي، وحينئذ يكون الإيثار والتعاون، وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما في شخصيته من حلم وأناة، أو حمق وعجلة، إلا إذا كان في جماعة، وصادف طبقات من غير أولي الكياسة، ونظر هل يقابل خوشنة ألسنتهم باللين، وغلظة قلوبهم بالرفق، وهنا يكون الحلم والأناة، أو يقابلها بمثلها وأشد، وهنا يكون الحمق والعجلة، وأيضا لا يعرف الإنسان ما عنده من الشجاعة الأدبية، أو الجبن والخور إلا إذا لزم الجماعة، ورأى من يخطيء، ثم تأمل نفسه هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطيء: إن الصواب في غير ما نطقت، والحق في غير ما رأيت، والخير في غير ما أتيت، وهنا تكون الشجاعة الأدبية، أو يعز عليها أن تقول ذلك فتصمت وتخرس، وهنالك يكون الجبن والخور.

وبالمثل لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب، ومن أمانة وخيانة، ومن نظام وفوضى، إلا إذا عاش وسط جماعة، وحدث أفرادها أو ائتمنوه على أموالهم ودمائهم وأعراضهم، أو ضرب لهم موعدا، أو أعطى من نفسه عهدا لهم، ثم نظر، هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع؟ فيكون صادقا، أو بما يخالفهما فيكون كاذبا، وهل يحافظ على أموالهم ودمائهم وأعراضهم؟ فيكون أمينا، أو يعتدي عليها ويهدرها فيكون خائنا، وهل يحافظ على عهده ويفي بوعده؟ فيكون دقيقا منصفا منظما، أو يخالف ويهمل؟ فيكون فوضويا غير دقيق ولا منضبط ولا منظم.

وهكذا.. تعد الجماعة حقلا تجريبيا يطّلع المسلم من خلاله على ما في نفسه من كمال، وقصور، ومن قوة أو ضعف، الأمر الذي يسهل عليه أن يعمل ـ إذا كان جاداً وراغباً في إقامة هذا الدين في نفسه ـ أن يعمل على تنمية ورعاية جوانب القوة، وتقويم وتكميل جوانب الضعف. وقد لفت النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأنظار إلى هذه المهمة للجماعة حين قال: «المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه»[1] وكأنه يقول: الطريق التي يعرف بها المسلم عيبه ومواطن القصور والضعف في شخصيته، إنما هي الجماعة، لأنها بالنسبة له كالمرآة، والشأن فيمن يعرف عيبه ويدرك قصوره وضعفه، أن يسعى جاهداً لاصلاحه وتهذيبه، كما يصنع أمام المرآة وتدلّه على حاله.

(٢) تقويم الاعوجاج: أي إصلاح وتهذيب وتقويم ما عساه يكون في شخصيته من قصور أو ضعف أو عوج، ذلك أن الجماعة إذا ساعدت المسلم على اكتشاف عيوبه، ثم رأت أنه لا يعمل على التخلص منها لسبب أو لآخر، بادرت إلى القيام بواجبها بما تراه مناسبا، فتارة تمارس أمامه الصورة الصحيحة والنموذج الأمثل ليقتدي به ويتأسس، وتارة تستخدم النصيحة بشروطها وآدابها، وتارة تلجأ الى العتاب واللوم، وتارة تستخدم التوبيخ والتقريع، وتارة تستخدم الهجر والقطيعة لأمد معين.

وهكذا تمارس الجماعة مختلف الأساليب والوسائل، وتسلك سائر الطرق، لتعود بشخصية المسلم إلى ما ينبغي أن تكون عليه، ولعل هذا الدور للجماعة هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تكملة الحديث: «المؤمن مرآة أخيه

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في النصيحة والحياطة ٤/٢٨٠ رقم ٤٩١٨ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به.

(إن رأى فيه عيباً قوّمه)»[1]، وقوله: «الدين النصيحة» قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[2]، وفي الأثر: «من يرد الله به خيراً يهده خليلا صالحا إن نسي ذكّره»[3].

(٣) توظيف الطاقات: أي توظيف سائر طاقاته وإعمال غرائزه بما يؤدي إلى التوازن والتكامل في شخصيته، ويقضي على أي فراغ يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجن، في إغوائه وإضلاله، ذلك أن الانسان ـ كما قدمنا ـ مؤلف من جسد وعقل وروح، والروح مزوّد بطائفة من الغرائز، تشبه الخيوط الدقيقة المتقابلة المتوازية، كل غريزتين منها متجاورتان في النفس، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه: كالخوف والرجاء، والحب والكره، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية، الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس، حب الالتزام والميل إلى التطوع، الفردية والجماعية، السلبية والإيجابية...الخ. كلها غرائز متوازية ومتقابلة ـ كما ترى ـ وهي بتوازيها وتقابلها تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة، كأنما هي أوتاد متفرقة متقابلة، تشد الكيان كله، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه، وتفسح مجال حياته، فلا ينحصر في نطاق واحد، ولا في مستوى واحد، بيد أن تحقيق التوازن والتكامل في الحياة للمسلم مرهون بإعطاء كل غريزة من

---

(١) تقدم تخريجه منذ قليل.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الأدب: باب في النصيحة ٢٨٦/٤ من حديث تميم الداري ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا بنحوه.

(٣) الأثر بهذا اللفظ لم أعثر عليه، لكن أخرج أبو داود في: السنن: كتاب الامارة: باب في اتخاذ الوزير ١٣١/٣ من حديث عائشة مرفوعا بلفظ: «إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق: إن نسي ذكّره، وان ذكر أعانه.. الحديث» وأخرج النسائي في: السنن: كتاب البيعة: باب وزير الإمام ١٥٩/٧ من حديث القاسم بن محمد عن عمته= أي عائشة ـ مرفوعا بلفظ: «من ولي منكم عملا فأراد الله به خيرا، جعل له وزيرا صالحا إن نسي ذكّره وإن ذكر أعانه»إلا أن في إسناده بقية، وحاله معروفة.

هذه الغرائز حقها، دون زيادة أو نقص.

والجماعة هي المجال الوحيد الذي يوظف سائر طاقات المسلم، ويجعل كل الغرائز تعمل بدرجات متساوية، ومتوازية في نفس الوقت، الأمر الذي يؤدي إلى تكوين الشخصية السوية المتزنة المتكاملة، الخالية من أي انفصام أو عوج، والمحصنة ضد كيد الشيطان وإغوائه، ولعل هو ما أشار إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: «عليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة»[1].

(٤) بث الأمل ودفع اليأس: أي بث الثقة والأمل في نفسه، ذلك أن المسلم الذي يعمل منفردا لدين الله، يعتريه بين الحين والحين خاطر: (ماذا أصنع وحدي، وأعداء الله ـ في داخل الأمة وخارجها ـ كثر، ولهم خططهم وأساليبهم الخبيثة الماكرة، وممسكون الآن بخناق العالم الاسلامي؟)، ولا يزال هذا الخاطر يلح عليه، وليس عنده ما يدفعه به، حتى يدب اليأس والقنوط إلى نفسه، فيترك العمل لدين الله.

أما إذا كان يعمل لهذا الدين من خلال الجماعة، وعرض له مثل هذا الخاطر، فإنه يستطيع دفعه بأنه ليس وحيدا في الميدان، وإنما هناك آخرون غيره يسيرون معه في نفس الدرب، ولهم من الوسائل والأساليب والإمكانات، ما يعينهم على مواجهة أعدائهم وإحباط مكايدهم ومخططاتهم. وهكذا.. تبث الجماعة في نفس المسلم الثقة والأمل بأن نصر الله آت لا محالة، وأن السيادة والغلبة ستكون لدين الله ـ عزل وجل.

(٥) تجديد النشاط والهمة: أي تجديد نشاطه بما يقوي عزيمته ويعلي

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن ٩/١٠ بهامش عارضه الأحوذي من حديث بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعا به، وعقّب عليه بقوله: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

همته، ويضاعف من جهده، ذلك أن المسلم تعتريه في بعض الأحيان حال من الفتور والتراخي بسبب ضخامة الأعباء، وبعد الطريق ومشقة العمل، فإذا ما التقى باخوانه وتفرّس نور الطاعة في وجوههم ورأى كثرة خشوعهم وشدة إقبالهم على ربّهم، زال هذا الفتور وذلك التراخي، وامتلأ حماسا وحيوية ونشاطا، فيضاعف من جهده كأنما لم يعمل لدين الله من قبل، وقد أشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم الى هذا حين قال: «ألا أخبركم بخير الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من تذكركم رؤيته بالله عز وجل»[1].

(٦) اكتساب الخبرات والتجاري: أي تزويده بكثير من الخبرات والتجارب التي تعينه على مواجهة ما يعترض طريقه من صعاب وعقبات، ذلك أن طريق العمل لدين الله طريق مليئة بالعقبات ومحفوفة بالمخاطر، والمسلم الحصيف الذكي هو الذي يملك الخبرة أو التجربة التي تعينه في التغلب على هذه العقبات، والنجاة من تلك المخاطر، وليس هناك مجال أرحب وأوسع يكتسب فيه المسلم الخبرات، ويتعلم التجارب، سوى الجماعة، ولعلنا بذلك نستطيع أن نفسر دقة السلوكيات والتصرفات الواقعة من الفرد المخالط للجماعة، عن نظيراتها من الفرد الذي يعيش وحده.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في: السنن: كتاب الزهد: باب من لا يؤبه له ١٣٧٩/٩/٢ رقم ٤١١٩ من حديث سويد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن سليم عن أبي خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل»، وأورده البوصيري في: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ٢١٥/٤ وعقّب عليه بقوله: «هذا إسناد حسن، وشهر وسويد مختلف فيهما، وباقي رجال الإسناد ثقات رواه مسدد في مسنده، وكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، وكذا رواه عبد بن حميد في مسنده، وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن طريق شهر بن حوشب به».

(٧) التعاون من أجل التمكين لمنهج الله في الأرض: أي إعانته على تأدية واجبه نحو دين الله عز وجل، إذ أن من واجب المسلم نحو دين الله: الدعوة الى هذا الدين، والجهاد في سبيله حتى يمكّن له في الأرض، وتبقى رايته عالية في العالمين، ولن يستطيع المسلم القيام بهذين الواجبين وحده، وإنما لا بد له من أعوان يشدون أزره، ويقوون عضده، ويعينونه على أمره، ولعل أوضح مثال يؤكد لنا عجز المسلم عن القيام بهذين الواجبين وحده: رغيف الخبز، فإنه مع صغر حجمه لا يصل إلى الإنسان إلا بعد عمل عشرات بل مئات من البشر، تعاونت على تجهيزه وإعداده وتقديمه.

ومن كان في شك من ذلك فليسأل نفسه: من حرث الأرض؟ ومن بذر فيها الحب؟ ومن سقاه بالماء؟ ومن اقتلع الحشائش الضارة منه؟ ومن حصده؟ ومن نقله إلى الجرن؟ ومن درسه؟ ومن فصل الحب عن التبن؟ ومن طحنه؟ ومن عجنه؟ ومن خبزه؟ ومن سوّاه بالنار؟ ومن حمله الينا؟ ومن؟ ومن؟ ومن؟.... هذا فضلا عن القوى الكونية الأخرى كالشمس والهواء والماء والتربة.. إلخ...، وفوق هذا وذاك يد الله جلّ وعلا : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[1]. وعليه.. فمن زعم أن بوسعه الاعتماد على نفسه في تحصيل هذا الرغيف ـ الصغير في حجمه البسيط في مكوناته ـ فإنه سيموت أو يشرف على الموت قبل أن يحصل عليه.

وإذا كانت الحال كذلك في أمر بسيط هيّن كرغيف الخبز، فكيف لو كان الأمر أمر دعوة وجهاد . من أجل حماية منهج الله والتمكين له فى الأرض، ولعل هذا ما عناه الحق تبارك وتعالى حين قال: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2]،

(١) سورة الواقعة: ٦٣-٦٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[1]، ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[2]، ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[3]، ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[4]، إلى غير ذلك من الآيات.

(٨) حفظ الهيبة والكرامة: أي حفظ هيبته وحرمته وكرامته: فلا يجرؤ الأعداء على إيذائه أو التطاول عليه في يوم من الأيام في دم أو مال أو عرض، لأن له من جماعة المؤمنين ظهيراً ونصيراً، وحتى لو تجرأ هؤلاء فأذوه في دم أو مال أو عرض فإن اخوانه سينصفونه، وسيردون له مظلمته، على نحو ما حدث حين اعتدى يهود بني قينقاع على حرمة امرأة مسلمة، وإجلاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم، وكما حدث حين لطم الرومي المرأة المسلمة في عمورية، واستنجدت بالخليفة المعتصم العباسي، فجهز الخليفة جيشا ضخما آخره عنده، وأوله في عمورية، لتأديب الروم على هذه الفعلة القبيحة.

هذا هو شأن المسلم حين يكون في جماعة، أما إذا كان وحده فإن الأعداء سيتربصون به الدوائر، وسيكيدون له بكل ما أوتوا من قوة ووسيلة. ولعل هذا هو السر في حرص الأعداء على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم، إيماناً منهم بأن السيطرة عليهم والإذلال لهم ونهب ثرواتهم وخيرات بلادهم، كل ذلك لا يتم إلا في جو من الفرقة والانشقاق، ومن شعاراتهم في هذا الصدد «فرّق تسد».

---

(١) سورة الأنفال: ٣٩.

(٢) سورة التوبة: ٤١.

(٣) سورة التوبة: ١٤،١٥.

(٤) سورة الحج: ٧٨.

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن ندرك الهدف من أمر الله عز وجل للجماعة المسلمة بالوحدة ونبذ الفرقة والتنازع: « وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ »[1]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[2]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3].

(٩) فتح مجال الأجر والثواب: أي فتح مجالات للأجر والثواب أمام المسلم: ذلك أن المسلم مع الجماعة يجد الفرصة أمامه سانحة لتحصيل مزيد من الأجر والثواب، فهو يسلم على المؤمنين، ويودع مسافرهم، ويستقبل قادمهم، ويقرض محتاجهم، ويفرج عن مكروبهم، ويهدي لهم، ويقبل هديتهم، ويشير عليهم، ويعلم جاهلهم، ويتعلم من عالمهم..الخ هذه المجالات المؤدية إلى الأجر والثواب، أما إذا كان وحده فأنى له أن يقوم بشيء من ذلك؟ والمجال أمامه مغلق أو مسدود.

(١٠) التأهل لتأييد الله: أي استجلاب عون الله وتأييده ونصره: ذلك أن المسلمين مهما كانت كثرتهم، ومهما كانت ضخامة استعدادهم، محتاجون إلى عون وتأييد من الله عز وجل، خالق كل شيء والذي بيده الأمر كله، لا سيما في هذا الوقت الذي ضربت فيه الجاهلية أطنابها بكل مكان، وأمسك أعداء الله بخناق العالم الإسلامي، ولم يعد هناك متنفس أو منفذ، وقد مضت سنة الله.. ألا يتنزل نصره دون تضحيات وتكاليف، وأبسط هذه التكاليف وتلك التضحيات: أن يجاهد المسلم نفسه وهواه، وأن يكون مع الجماعة، ينفذ ما تأمر به، ويجتنب ما تنهى عنه.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٣) سورة الأنفال: ٤٦.

ولقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم الأنظار إلى هذا المعنى حين قال: «يد الله مع الجماعة»[1].

جـ ـ الآثار السلبية للفردية والجماعية:

أما إذا أهملت كل من الفردية والجماعية، ولم تأخذ حظها من الرعاية والتربية، بحيث قتلت تماما أو تجاوزت حدها، فإنها تؤدي للآثار السلبية الآتية:

(١) الإنزواء أو العزلة: الأثر السبي الأول الذي ينشأ من بروز الجماعية وتلاشي الفردية، إنما يكمن في الانقطاع أو البعد عن الناس، وعدم مخالطتهم أو معايشتهم، ذلك أن تلاشي الفردية يصيب النفس بالضعف أو العجز، وعدم القدرة على مواجهة أعباء الحياة مع الناس، فإذا بها تلجأ إلى الانزواء أو العزلة، وكأن من ابتلى بهذا الانزواء أو بهذه العزلة يحاول ستر أو تغطية ما طرأ على شخصيته من ضعف أو عجز، ناسيا أو متناسيا ما يترتب على ذلك من: استمرار الأخطاء والتمادي فيها، هذا فضلا عن الحرمان من الخبرات والتجارب، وسيطرة اليأس والقنوط، والسأم والملل، وانقطاع العون والتأييد الإلهي.

(٢) الكسل والخمول: والأثر الثاني الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية، إنما هو الكسل والخمول، وهذا بدوره يؤدي الى سيطرة أعداء الله، وإمساكهم بالخناق على نحو واقع ومشاهد في كثير من بلاد المسلمين في العصر الحاضر، والعجب أن هؤلاء الذين تلاشت الفردية عندهم حتى صاروا قاعدين أو كالقاعدين، يحاولون فلسفة هذا القعود قائلين: «الناس على دين ملوكهم»، «دع العباد فيما أراد»، الى غير ذلك من هذه الشقشقات الفارغة.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: ٤٤٦/٤ رقم ٢١٦٦ من حديث ابن عباس مرفوعا به، ثم عقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن، غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه»، وأخرجه النسائي في: السنن: كتاب تحريم الدم: باب قتل من فارق الجماعة ٩٢/٧-٩٣ من حديث عرفجة بن شريح الأشجعي مرفوعا به.

(٣) السقوط أو التهاوي على أول الطريق: والأثر الثالث الذي ينشأ من تلاشي الفردية وبروز الجماعية، إنما هو السقوط أو التهاوي عند أول امتحان على الطريق، نظراً لأن الفردية أو الذاتية مما يعين على التماسك والصبر والمصابرة، لا سيما في أوقات الشدائد والمحن.

(٤) السكوت عن الحق: والأثر الرابع الذي ينشأ من تلاشي الفردية، وبروز الجماعية إنما هو رؤية الحق يعتدى عليه ويهان، ثم إيثار السكوت والصمت، والساكت عن الحق شيطان أخرس، لأنه يفسح المجال أمام الباطل ليغرس بذور الشر والفساد، ثم يتعهدها حتى تؤتى ثمارها المرة، وتأسن الحياة.

(٥) الطاعة العمياء: والأثر الخامس الذي يترتب على تلاشي الفردية وبروز الجماعية إنما هو الطاعة العمياء، التي لا تفرّق بين حق وباطل، طاعة ومعصية، الأمر الذي يفسح المجال لظهور التسلط والقهر، والاستبداد والدكتاتوريات.

(٦) التسلط والاستبداد: وهذا الأثر ينشأ من بروز الفردية إلى حد الأثرة والأنانية، والإعجاب ثم الغرور والتكبر، ثم ترجمة هذا التكبر في صورة القهر والاستبداد والتسلط، الأمر الذي ينشر في الأرض الفساد، ويأتي على الأخضر واليابس، ويمزق وحدة الصف. وصدق الله العظيم الذي يقول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[1].

تلكم هي الآثار السلبية لكل من الفردية والجماعية، وقد أشار الأستاذ محمد قطب الى الأثرين الأول والأخير من هذه الآثار قائلا: «الإنسان الذي لا

(١) سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦.

شخصية له في ذاته ولا وجود، لا ينشىء إلا مجتمعا مستضعفا خانعا، يصلح لأن يحكمه «فرد» متسلط دكتاتور، ثم يتهاوى حين يذهب ذلك الدكتاتور، والإنسان الذي تبرز شخصيته ـ بانحراف ـ إلى حد الأنانية المرذولة، أو الطغيان، لا يستطيع أن يعيش في وفاق مع الجماعة، ولا بد أن يتشتت المجتمع ويؤول الى البوار»[1].

الفصل الثالث

الفردية والجماعية بين المذاهب الأرضية وبين الإسلام

قدمنا أن لكل من الفردية والجماعية آثاراً إيجابية، وأخرى سلبية على كيان المسلم وفي واقع الحياة، وأن مرد هذه الآثار إلى منهج التربية، فإن كان المنهج صحيحا مستقيما، كانت الآثار الإيجابية، وكان الانسجام والتوافق، وإن كان المنهج معوجا غير صحيح، كانت الآثار السلبية وكان الخلل والاضطراب.

ولما كان منهج التربية في كل أمة نابعا من عقيدتها، وفلسفتها، فإننا بحاجة إلى أن نعرض هنا نظرة كل من المذاهب الأرضية، والإسلام للفردية والجماعية، ليستبين لنا بجلاء ووضوح أي المذاهب أو أي العقائد والفلسفات نعتمد في هذه التربية. وإليك أبعاد ومعالم هذه النظرة..

أ ـــ الفردية والجماعية في نظر المذاهب الأرضية:

تنظر المذاهب الأرضية للفردية والجماعية نظرة فيها غلو وشطط، فإما أن تميل إلى هذا الجانب أو ذاك، وقد ترتب على هذا الميل ما نشاهده وما نسمعه عن الإنسان في كل أنحاء المعمورة اليوم، من ضيق وقلق واضطراب نفسي، بل

(١) منهج التربية الاسلامية ١٦٣/١.

ومن ذل وهوان واستعباد.

ولعل هذا الغلو وذلك الشطط نابعان من أن هذه المذاهب من وضع بشر، وأن البشر مهما نبغوا في العلم، ومهما اخترعوا وابتكروا فإنهم عاجزون عن الغوص في داخل النفس البشرية، ومعرفة حقيقة ما تنطوي عليه من أسرار وعجائب.

وما أروع ما كتب الأستاذ محمد قطب تصويرا لهذه النظرة، إذ يقول ـ وهو بصدد الحديث عن الفردية والجماعية:

«ولقد اضطربت كثير من النظم وكثير من الفلسفات بين هذه النزعة وتلك، بعضها يوسع دائرة الفردية، حتى تصل إلى الأنانية المرذولة، وتفكيك روابط المجتمع، وتشتيت طاقاته، وبعضها يوسع الدائرة الجماعية حتى تقضي على كيان الفرد، وتكاد تلغي وجوده، إذ تعتبره ذرة ضئيلة تافهة لا يستمد كيانه إلا بوصفه فردا في القطيع. ونحن نرى في هذه اللحظة على وجه الأرض مذهبين متنافرين، كل منهما يقوم على اتجاه:

الرأسمالية في الغرب قائمة على أساس فردية الإنسان، فتوسع له في حدود فرديته وتترك له حرية التصرف في كثير من الأمر، حتى يصل إلى حد إيذاء نفسه، وإيذاء الآخرين، فلا تحرج على نشاطه الزائد عن الحد، ولا تقفه عند حد معقول، يطلق لنفسه عنان الشهوات والأهواء، ويحطم الأخلاق والتقاليد، ولا يعترف بحق أحد في توجيهه وضبط تصرفاته، ويحول أمواله إلى أداة لاستغلال الآخرين، وامتصاص جهدهم ودمائهم وتحويلها إلى ترف فاجر، ومتاع حسي غليظ، ويفسد سياسة الحكم وسياسة المجتمع، ويفسد تصور الناس للحياة، ومع ذلك فهو يمارس «حريته الشخصية» وليس لأحد عليه سلطان.

والشيوعية في الشرق قائمة على أساس جماعية الإنسان، فتوسع في دائرة الجماعة ـ أو في الحقيقة الدولة ـ وتحجر على كل نشاط للأفراد ـ اللهم إلا نشاطهم الحسي الغليظ، فتتركه لهم مباحا للتنفيس عن الطاقة المكبوتة، فتمنع اشتراك الناس الفعلي في سياسة الحكم وسياسة المجتمع، وتفرض عليهم النظم

والترتيبات، بحجة أنها أعرف منهم بمصالحهم، فتعين لهم أعمالهم، وأماكن إقامتهم، كما تعين لهم أفكارهم ومشاعرهم وطريقة إحساسهم.. بالأمر، ولا تترك لهم سبيلا للاختبار، وتحكمهم بالحديد والنار والتجسس، وتعتبر كل نصيحة للدولة أو القائم عليها خيانة تعاقب «بالتطهير» لأنها نزعة فردية آثمة، موجهة ضد كيان المجتمع المقدس، من فرد لا قداسة له في ذاته ولا كيان.

والفلسفات كذلك تخبطت كثيرا في هذه الأمور، ولم يستطع كثير منها أن يخلص إلى حقيقة بديهية بسيطة، يؤيدها الواقع المشهود. إن هذه الفلسفات تفترض أنه إذا كان الإنسان فردي النزعة، فالمجتمع إذن مفروض عليه من خارج نفسه، متحكم فيه بغير إرادته، ضاغط على كيانه، محطم لشخصيته، ومن ثم فهو مكروه، وتفتيته وتفكيكه حلال.

أو أن النزعة الجماعية هي الأصل، فالطفل يولد ضعيفا لا حول له ولا قوة، ولا كيان، ولولا وجوده في الجماعة ما استطاع أن ينمو وأن يعيش، وهو في حاجة دائمة للجماعة، لكي يستمر في وجوده، وإذن فالنزعة الفردية رجس يجب أن يقاوم، ينبغي أن تسحق هذه الرغبة وتزالَ.

لماذا؟؟؟

إن هذه الفلسفات لا تنتبه إلى الطبيعة المزدوجة في هذا الكائن البشري، التي تبدو متناقضة حين ينظر إليها من السطح، ولكنها مع ذلك مترابطة، وهي تؤدي مهمتها في حياة الكائن البشري بتناقضها ذلك وترابطها، كما يؤدي مهمته: الحب والكره، والرجاء والخوف والسلبية والإيجابية، والحسية والمعنوية، والإيمان بالواقع، والإيمان بما وراء الواقع، ويخرج لنا في النهاية مخلوق متعدد الجوانب موحد الكيان!»[1].

(١) منهج التربية الاسلامية ١/١٦٢-١٦٣.

ب ــ الفردية والجماعية في نظر الإسلام:

وتختلف نظرة الإسلام إلى الفردية والجماعية عن نظرة هذه المذاهب الأرضية التي قدمنا إذ ينظر الإسلام إلى كل واحدة منها على أنها أمر فطري في تكوين الإنسان، بل وعلى أنها أصيل وأساسي في بنيته، ومن هذا المنطلق يحرص كل الحرص على صيانتها والمحافظة عليها، مع محاولة التوفيق والانسجام بينها وبين تلك التي تقابلها، فلا خلل ولا اضطراب، لا من داخل النفس ولا في واقع الحياة، ولم لا يكون ذلك، والإسلام حكم الله للإنسان الذي هو صنعة الله؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2].

يقول الأستاذ محمد قطب:

«والإسلام يوفّق بقدر ما في طاقة البشر بين النزعتين الأصيلتين المتناقضتين في الظاهر، إنه بادىء ذي بدء لا يعتبر إحداهما أصيلة، وغيرها دخيل، ولا يعتبر أن تغذية إحداهما تعني بالضرورة الإساءة إلى الأخرى، أو إسقاطها من الحساب.

والإسلام دين الفطرة، وهذه فطرة الإنسان: فرد داخل في المجموع، أصيل الفردية، أصيل في الميل للمجموع، وهو دائم التقلب بين نزعتيه المتناقضتين، كما يتقلب في نومه من جنب إلى جنب ليستريح، ولكنه في كل لحظة شامل لجنبيه معا على اختلاف في النسبة والمقدار.

والإسلام يعالج كلتا النزعتين، فيغذيهما معا، ويجعلهما متساندتين بدلا من أن تكونا متنازعتين.. إنه يحتاج إليهما معا، لأن الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى، ولذلك لا يكبت أيّا منهما، ولا يزيلها من الوجود، إن كان في استطاعة أحد أن يزيلها من الوجود»[3].

---

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) منهج التربية الاسلامية: ١٦٤/١.

ونستطيع بعد هذه الموازنة أو هذه المقارنة أن نؤكد واثقين مطمئنين أن الإسلام والإسلام وحده، هو المنهج المفيد الفريد، الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر، لا سيما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية.

الفصل الرابع
منهج الإسلام في تربية الفردية والجماعية

وما دام الإسلام هو المنهج الفريد الذي يجب اعتماده في كل شيء في حياة البشر، لا سيما في التوفيق والتوازن بين الفردية والجماعية، فإننا سنعرض الآن السبل أو الأساليب التي يسلكها لإنشاء وتنمية الفردية والجماعية في كيان المسلم وفي واقع الحياة، وإليك هذه السبل، وتلك الأساليب:

أ ــ منهج الإسلام في تربية الفردية: ويتلخص هذا المنهج فيما يأتي:

(١) تعريف الإنسان بكرم أصله، وطيب معدنه: وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن تكريم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لآدم: ككون الحق ـ سبحانه ـ خلقه بيديه ثم سواه ونفخ فيه من روحه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[1]، وككونه علّمه الأسماء كلها ثم أسجد الملائكة له ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم

(١) سورة السجدة: ٧ـ٩.

بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[1]، وككونه اجتباه واصطفاه بالنبوة والرسالة على العالمين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنه سليل بيت كريم، ومعدن طيب، ولّدت هذه المعرفة في نفسه كياناً مستقلاً قائماً بذاته، بل حملته على حفظه وصيانته لئلا يدنس هذا الأصل أو يفسد ذلك المعدن.

(٢) تعريف الإنسان بعدوه الأكبر: وذلك من خلال النصوص التي تذكر قصة آدم واسكانه مع زوجه الجنة، وإغواء الشيطان لهما حتى أخرجهما منها: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[3].

ذلك أن الإنسان إذا عرف أن أصله حيكت ضدّه المؤامرات والمكائد، حتى حولت حياته من راحة إلى تعب، بل إن هذه المؤامرات لا تزال تحاك ضده.. إذا عرف ذلك أنشأت هذه المعرفة في نفسه كيانا مستقلا قائما بذاته، بل

(١) سورة البقرة: ٣١-٣٤.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣.

(٣) سورة الأعراف: ١٩-٢٤.

حملته على القصاص والثأر لأصله من هذا العدو، وأقل شيء في هذا القصاص مخالفته أو معصيته وعدم إتباع خطواته، وهو ما أرشد إليه المولى صراحة إذ يقول : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾[3].

(٣) تعريف الإنسان بمنزلته ومكانته في هذا الكون: وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن صلة الإنسان بربه، وبباقي الموجودات في هذا الكون، كقوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾[4]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾[5]، ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾[6]، ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[7]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾[8]، ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ۝٧٠ ﴾[9].

---

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة فاطر: ٥-٦.

(٣) سورة النور: ٢١.

(٤) سورة البقرة: ٣٠.

(٥) سورة فاطر: ٣٩.

(٦) سورة هود: ٦١.

(٧) سورة الذاريات: ٥٦.

(٨) سورة الجاثية: ١٣.

(٩) سورة الاسراء: ٧٠.

ذلك أن الإنسان إذا عرف أنه خلق للسيادة في هذا الكون في ظل العبودية التامة لرب العالمين، ولّد ذلك في نفسه شعوراً خاصاً، بأنه كيان مستقل له مكانته ومنزلته في هذا الوجود، بل وحمله على المحافظة على هذا الكيان مهما تكن ضخامة الثمن.

(٤) ربط القلب البشري بالله: وذلك من خلال النصوص التي تتحدث عن نعمة الله على العباد، وحقه عليهم: «﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1]، ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾[2]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾[3]، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾[4]، ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ... ﴾[5].

بل من خلال فرض طائفة من العبادات: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وقراءة القرآن، والذكر والدعاء والاستغفار، كحق الله على العباد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: «يا معاذ.. أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ـ عز وجل ـ ألا يعذب من

(١) سورة البقرة: ٢١-٢٢.
(٢) سورة الأنعام: ١٣-١٥.
(٣) سورة المؤمنون: ٥٢.
(٤) سورة الحجر: ٩٩.
(٥) سورة الزمر: ١٠.

لا يشرك به شيئاً﴾[1].

ذلك أن الإنسان إذا أدرك نعمة ربه التي تغمره من أعلى إلى أدنى، وحقه عليه انقلب يعبد ربه حتى تنسيه هذه العبودة كل شيء في هذا الوجود إلا نفسه، وربه. أجل: إن هذا الإدراك، وما يتبعه من العبودة لله ليملآن قلب الإنسان بشحنة إيمانية تصيّره فرداً إيجابياً له كيانه الخاص، وذاتيته المستقلة.

يقول الأستاذ محمد قطب: «فأما الفردية.. الشخصية الاستقلالية.. الكيان الإيجابي القوي.. فينشئه الإسلام بربط القلب البشري بالله.. إن الإنسان ليتصل بربه فرداً.. هذه الصلة العميقة الوثيقة السارية في أعماق النفس هي عند كل إنسان صلته الشخصية الفردية بالله.

وإن الإنسان ليستغرق أحيانا في العبادة لله، ويستغرق في الحب، إلى حد أن ينسى كل شيء في هذا الوجود، غيره هو، وغير الله، ويخيل إليه في لحظة الاستغراق العميقة أن الوجود كله قد شفّ وراق، ثم خلا من كل شيء، ومن كل أحد، إلا قلبه الخافق، والشعاع النوراني الذي يصل قلبه بالله.. في لحظة الاستغراق هذه يمتلىء الإنسان بالشحنة التي توجهه في الحياة، توجهه فردا إيجابيا له كيان، وإنها لتمنحه قوة عجيبة إزاء كل أحد، وكل شيء، وكل حدث، إنه يحس أنه يحمل تلك القبسة النورانية المقدسة[2].. القبسة التي احتملها كيان الإنسان الأول الذي خلقه الله من طين الأرض، ونفخ فيه من روحه، ومن ثم فهو قوي فعال مريد متصرف، فهو لا يخضع لغير الحق الذي أنزله الله تعالى، ولا يرضى بأن يخنع ويستنيم ويصبح سلبيا إزاء ما حوله من قيم، أو أشخاص أو قوة مادية، لأنه يحس وجوده الفردي، ذلك المشحون بتلك القبسة من الله، متكافئا

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الايمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/٥٨-٥٩ رقم ٤٩ من حديث معاذ مرفوعا به، وزاد في آخره فقال: قلت، يا رسول الله، أفلا أبشّر الناس؟ قال: «لا تبشّرهم فيتّكلوا».

(٢) منهج التربية الاسلامية: ١/١٦٥.

لهذه القوى جميعها، بل مستعليا عليها في داخل نفسه، ولو هزمت قوته المادية المحدودة فترة من الزمان.

ولهذا السبب ذاته تكره الدكتاتوريات الأديان، إنها من ناحية لا تطيق أن يكون الولاء لأحد غير الدكتاتور، ومن ناحية أخرى لا تطيق أن يكون الولاء لله بالذات، لأن هذا الولاء لله هو الذي يؤلب البشر على الطغاة، ويحفزهم أن يقفوا لطغيانهم بالمرصاد.. و﴿**من رأى منكم منكرا فليغيره...**﴾.

هذه الصلة الفردية الشخصية بالله هي التي تمنح الإنسان وجوده المستقل فلا ينبهم ولا يضيع في القطيع﴾[1].

(٥) التحذير من انصياع الشخصية: وذلك بواسطة ذم التقليد الأعمى الذي لا دليل عليه يقويه، ولا برهان يعضده:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2]، ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]، بل برفض التبعية المطلقة صراحة، نظرا لأنها تؤدي إلى تلاشي الشخصية تماما.

يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع، ولا طاعة»[4]، «لا تكونوا أمّعة، تقولون ان أحسن الناس أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّدوا

(١) منهج التربية الاسلامية ١/١٦٥-١٦٦.

(٢) سورة البقرة: ١٧٠.

(٣) سورة الزخرف: ٢٢.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٣/١٤٦٩ رقم ١٨٣٩ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا به.

أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»[1].

(٦) إلزامه بالتكاليف الشرعية والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»[2]، «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3]. وهذه السبيل واضحة، ذلك أن التكليف بأي من المهام، لا سيما إذا كان الأمر أمر تعديل للأوضاع المقلوبة، يعني أن المكلف صار محل ثقة واهتمام، وأنه كفؤ للقيام بمثل هذه الواجبات وأنّى لإنسان عاقل استشعر ذلك أن يرجع عنه أو يضيعه.

(٧) إشعار الإنسان بالمسؤولية التامة عن جميع الأعمال: وذلك من خلال النصوص التي تلقى بمسؤولية كل إنسان عن عمله، فلا هو بالذي يستطيع أن يلقي بحمله على غيره، ولا هو بالذي يستطيع أن يتلقى على كتفه أحمال الآخرين: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[4]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[5]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في الإحسان والعفو ٤/ ٣٦٤ رقم ٢٠٠٧ من حديث أبي الطفيل بن عامر بن وائلة اللثي، عن حذيفة مرفوعا به ثم عقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة ١/ ٧٤ رقم ٩٥ من حديث تميم الداري ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/ ٦٩ رقم ٧٨ من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به.

(٤) سورة الاسراء: ١٣-١٤.

(٥) سورة البقرة: ٤٨، ١٢٣.

يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[2]، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾[3]، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[4].

وإنما تؤدي هذه السبيل إلى تربية الفردية عند الإنسان، نظراً لأن الإنسان إذا استشعر هذه المسؤولية الفردية دائما، ولّد هذا الاستشعار في نفسه كيانا مستقلا، بل جعل أعصابه صاحية منتبهة لكل ما يمسه ولو من بعيد.

(٨) ضرورة منح الفرد فترات حرة يدبّر فيها شئونه الخاصة: إذ الإسلام يقدّر أن لكل فرد شئونه الخاصة به، والتي تختلف عن شئون غيره، لذا فهو لا يهملها، ولا يتنكر لها، بل يسعى لإشباعها وتلبيتها، وذلك عن طريق منح هذا الفرد فترات حرة يدبّر فيها شئونه الخاصة من الصلاة، والذكر والدعاء، وقراءة القرآن، وأداء حق أهله وولده، وأضيافه وأرحامه والترويح عن نفسه.. الخ هذه الشئون، وقد لفت الإسلام النظر إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[5].

(٩) دعوة الإنسان صراحة إلى الاعتزاز بالنفس: ولا يكتفي الإسلام بمجموع السبل أو الأساليب التي قدمنا في تربيته الفردية بل يدعو إلى ذلك

(١) سورة لقمان: ٣٣.
(٢) سورة فاطر: ١٨.
(٣) سورة القيامة: ١٤-١٥.
(٤) سورة المدثر: ٣٨.
(٥) سورة النور: ٦٢.

صراحة، فيقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا يحقّر أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقّر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أمرا لله عليه فيه مقال، ثم لا يقول فيه، فيقول الله ـ عز وجل ـ له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى»[1] تلكم أهم الأساليب أو السبل التي يستخدمها الإسلام في تربية الفردية، وترسيخها في النفس.

ب ـ منهج الإسلام في تربية الجماعية:

وكما يحدد الإسلام السبل أو الأساليب لإنشاء وتربية الفردية عند الإنسان، فإنه كذلك يحدد السبل أو الأساليب اللازمة لإنشاء وتنمية الجماعية، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

(١) التأكيد على الجماعية في الشعائر التعبدية: ذلك أن هناك طائفة من التشريعات ـ وأعني بها الشعائر التعبدية ـ يمكن أن تقع بصورة فردية، بيد أن الإسلام أكد فيها على معنى الجماعية، وشدد في ذلك، فالصلاة مثلا يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة»[2]، وفي رواية: «بخمس وعشرين درجة»[3]، «ولقد هممت أن آمر

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في: السنن: كتاب الفتن: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢/ ١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨ من حديث أبي البحتري عن أبي سعيد مرفوعا به، وأورده البوصيري في: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ١٨٢/٤-١٨٣ وعلق عليه بقوله: «هذا إسناد صحيح.. رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ورواه البيهقي في الكبرى، ورواه أحمد بن منيع، ورواه عبد بن حميد في مسنده».

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب المساجد ومواضيع الصلاة: باب فضل صلاة الجماعة ٤٥٠/١ رقم ٦٥٠ من حديث ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعا به.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب المساجد ومواضيع الصلاة: باب فضل صلاة الجماعة ٤٥٠/١ رقم ٦٤٩ من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا».

بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار»[1].

والصيام مشاركة جماعية، ومساواة في الجوع في فترة معينة من الوقت، تبدأ من طلوع الفجر إلى غياب الشمس، طوال شهر معين هو شهر رمضان المبارك، لا يصح التقدم أو التأخر عليها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون»[2]، والحج ملتقى عام للمسلمين جميعا كل عام، يجتمعون من كل أطراف الأرض على أقدس غاية وفي يوم واحد هو يوم عرفة: « وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ »[3].

وتعلّم العلم وتعليمه لا يبارك إلا بالجماعية: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[4]، وقل مثل ذلك في صلاة الجمعة والعيدين، والاستسقاء، والخسوف والكسوف.. ونحوها.

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب المساجد ومواضيع الصلاة: باب فضل صلاة الجماعة ١/٤٥١ ـ ٤٥٢ رقم ٦٥١ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في: السنن: كتاب الصوم: باب ما جاء الصوم يوم تصومون ٣/٨٠ رقم ٦٩٧ وابن ماجة في: السنن: كتاب الصيام: باب ما جاء في شهري العيد ١/٥٣١ رقم ١٦٦٠ من حديث أبي هريرة مرفوعا به، واللفظ للترمذي، ثم عقب عليه الترمذي بقوله: «هذا حديث حسن غريب وفسّر بعض أهل العام هذا الحديث فقال: إنما معنى هذا: أن الصوم والفطر مع الجماعة، وعظم الناس».

(٣) سورة الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب الصلاة: باب في ثواب قراءة القرآن ٢/٧١ رقم ١٤٥٥ وابن ماجة في: السنن المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١/٨٢ رقم ٢٢٥ على أنه قطعة من حديث طويل، كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به، واللفظ لأبي داود.

وعليه.. فإنه إذا كانت الجماعية مؤكدة ولازمة في التشريعات التي يمكن أن تقع بصورة فردية، فإنها تكون من باب أولى أشد تأكيدا، وأكثر إلزاما في تلك التي لا تقع ولا تتم كاملة إلا بالجماعية، كالدعوة، والتربية، والجهاد، وعمارة هذا الكون والسيادة فيه.

(٢) التذكير بأن الجماعية منهج أعداء الله في مقاومة الحق: إذ يقول الحق سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[١]، ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[٢]، ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾[٣].

ولقد صدّق الواقع ذلك، لا سيما في هذاا لعصر: فإننا نرى هؤلاء يحشدون، ويجمعون، ويتعاونون فيما بينهم في شكل أحلاف عسكرية (حلف وارسو ـ حلف الأطلنطي) وفي شكل أسواق تجارية: (السوق الاوروبية المشتركة)، وفي شكل برلمانات، وهيئات سياسية (البرلمان الاوروبي)، وفي شكل اتحادات جمهورية (جمهوريات الاتحاد السوفييتي)، وولاياتية (الولايات المتحدة الامريكية). كل هذا من أجل السيطرة على ديار المسلمين لابتزاز ثرواتهم وخيراتهم، وإذلالهم، واضطرارهم إلى الكفر أو القتل:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٤]، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾[٥]، ﴿ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[٦]، ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟

(١) سورة الأنفال: ٧٣.
(٢) سورة التوبة: ٦٧.
(٣) سورة المائدة: ٥١.
(٤) سورة البقرة: ١٢٠.
(٥) سورة البقرة: ٢١٧.
(٦) سورة الكهف: ٢٠.

لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾[1].

وكأن القرآن بحكاية مواقف الكفار هذه يلفت نظرنا ـ نحن المسلمين ـ إلى أن الرد العملي على هؤلاء، أن يلزم المسلم إخوانه، فتكون لهم بذلك قوة قادرة على مواجهة الفكر والإلحاد، وكبح جماحهم، وإزاحتهم وإخلائهم من طريق البشر ليعيشوا أحرارا، وقد نص الحق صراحة على هذه اللفتة قائلا: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[2]، ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[3].

التذكير بأن الجماعية سنة كونية: إذ يذكر الله ـ عز وجل ـ لنا في كتابه الكريم أن هناك ترابطا بين كثير من الظواهر الكونية: الليل والنهار، والشمس والقمر وغيرها من المجموعة الشمسية من بين هذه الظواهر، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[4].

والدواب على اختلاف أنواعها، والطيور على اختلاف أشكالها، كل مجموعة منها تتعاون فيما بينها لتحقيق المهمة التي خلقت لها، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[5]، وقد

---

(١) سورة الممتحنة: ٢.

(٢) سورة الأنفال: ٧٣.

(٣) سورة التوبة: ٣٦.

(٤) سورة يس: ٣٧ ـ ٤٠.

(٥) سورة الأنعام: ٣٨.

أكد الواقع ذلك، فجماعة النحل مثلا تتعاون فيما بينها، طائفة تبني البيوت، وثانية تقوم على تنظيفها، وثالثة تقوم على توفير الحماية لها، ورابعة تسرح لتمتص رحيق الأزهار، ولتخرجه في النهاية عسلا مصفى فيه شفاء للناس، ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل، وباقي المخلوقات، الأمر الذي حدا بالشاعر أن يقول:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

(٤) تقرير مبدأ الأخوة بين الناس: فالناس جميعا لتناسلهم من أب واحد، وأم واحدة أخوة في النسب ﴿**أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة**﴾[١]، والمؤنون لرجوعهم الى رب واحد،ومنهج واحد،أخوة فيالدين:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، وهذه الأخوة لها حقوق وواجبات، تعود في جملتها إلى كل ما يحقق التعاون والتآزر والوحدة، وقد ذكر القرآن الكريم طرفا منها في سورة الحجرات، يبدأ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ.. إلى قوله تعالى:يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[٣]. كما ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم طرفا منها، إذ يقول: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله اخوانا»[٤]. «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[٥]، «أمرنا

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود في السنن: كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم ٨٣/٢ رقم ١٥٠٨ من حديث زيد ابن أرقم، مرفوعا به.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

(٣) سورة الحجرات: ٦ ـ ١٣.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظن والتجسس ١٩٨٥/٤ رقم ٢٥٦٣ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به، وبنحوه.

(٥) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب السلام: باب من حق المسلم على المسلم رد السلام ١٥٠٧/٤ رقم ٥ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به وبنحوه.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن: آنية الفضة، وخاتم الذهب، والديباج، والقسّي، والاستبرق»[1].

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن هذا العامل بالذات له دور كبير جداً في تدعيم الروح الجماعية بين الناس، لأنه يفرض على الناس أن يحمل بعضهم بعضا، وإن انقطعت المصلحة المادية، أو كان الأذى والإساءة، فترى الغني يفيض من ماله على الفقير وذوي الحاجات، وإن لم يكن هناك عائد مادي، وترى القوي يحمل الكلّ أو الضعيف وإن لم يكن هناك الأجر المادي... وهكذا.. لأنهم جميعا ينظرون إلى الأجر والمثوبة من الله ـ عز وجل ـ وحينئذ تقوى وتشتد الروح الجماعية، عكس الفلسفة التي يدعو إليها علماء الاجتماع، وواضعوا المذاهب الأرضية، من أن المصلحة هي أساس الروح الجماعية بين الناس، إذ أن هذه الروح ستبقى حين توجد المصلحة، وتموت بانقطاع أو انعدام المصلحة، وقد لا أجد ما يعبر عن هذا المعنى، أجمل وأبدع تعبير مما قاله الدكتور/ محمد السيد الوكيل، إذ يقول:

وهنا شيء يجب التنبيه عليه، ويجب كذلك أخذه بعين الاعتبار، ذلك هو أن الإنسان مدني بطبعه، إجتماعي بفطرته، لا يمكنه مطلقا ـ مهما حاول ـ أن يعيش وحيداً فريداً، لأنه في أبسط ضروریاته محتاج إلى غيره،، ولقد أدرك

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الجنائز: باب الأمر باتباع الجنائز ٢/٩٠، وكتاب المظالم: باب نصر المظلوم ٣/١٦٨-١٦٩، وكتاب النكاح: باب حق إجابة الوليمة والدعوة ٧/٣١-٣٢، وكتاب الأشربة: باب آنية الفضة ٧/١٤٦-١٤٧، وكتاب المرضى: باب وجوب عيادة المريض ٧/١٥٠، وكتاب اللباس: باب الميثرة ٧/١٩٧-١٩٨، وكتاب الأدب: باب تشميت العاطس اذا حمد الله تعالى ٨/٦١، وكتاب الاستئذان: باب إفشاء السلام ٨/ ٦٤-٦٥، ومسلم في: الصحيح: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم إستعمال إناء الذهب والفضة ٣/١٦٣٥-١٦٣٦، رقم ٢٠٦٦، كلاهما من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به وبنحوه، واللفظ للبخاري.

الإسلام هذه الحقيقة قبل أن يدركها علماء الاجتماع بمئات السنين، إلا أن الإسلام دعّم هذه الظاهرة بالأخوة التي أقامها بين بني الإنسان جميعا، أسودهم وأبيضهم، فالناس كلهم لآدم، وآدم من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، فلا مجال إذن لأن يعتزل إنسان أخاه، ولا مجال لأن يفخر إنسان بحسبه ونسبه، ولا أن يحتقر إنسان ضعة نسبه، وقلة ذات يده، ولقد ترجم الشاعر الإسلامي تلك الحقيقة حيث يقول:

الناس من جهة التمثيل أكفا أبوهم آدم والأم حواء

فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء

ومن أجل ذلك نجد الإسلام قد نجح في توثيق الروابط بين الذين آمنوا به، ودخلوا تحت لوائه، وكانت تلك الروابط أقوى على مواجهة المحن، وأقدر على حل مشكلات المجتمع، حتى شاهدت الدنيا ولأول مرة في تاريخها الطويل أن الإسلام قد أقام مجتمعا ظل فترة طويلة لم يحتج إلى قضاء يرجع إليه في فصل خصوماته، ولا إلى شرطة تحفظ أمنه، وترعى حقوقه، وتسهر على حراسة مقوماته.

وأما علماء الاجتماع، فقد حاولوا تدعيم تلك الظاهرة بأسباب مادية صرفة، فالإنسان مرتبط بالإنسان بتلك الأسباب المادية، لأنه محتاج لمن يصنع له طعامه، ويقدم له شرابه، وهو كذلك بحاجة إلى من يصنع له ملابسه ومسكنه الذي يأوي إليه، كما هو محتاج إلى من يؤدبه ويعلمه، إلى غير ذلك، وهو في كل هذا أو جلّه محتاج إلى غيره، ومن هنا ـ في نظر علماء الاجتماع ـ نشأت علاقات الناس بعضهم ببعض.

ونحن نرى في هذه الروابط ضعفا لا يقوى على مواجهة نوازع النفس البشرية، ولا يقدر على حلّ ما ينشب بين بني الإنسان من خلافات وخصومات، ذلك لأن هذه الروابط ليست نابعة من نفس الإنسان برضى منه ورغبة، ولكنه في الحقيقة مجبر عليها، فالحذّاء والحائك، والحجّام والقصّاب إلى غير ذلك من

أصحاب الحرف، لو سئل كل منهم عن رأيه في حرفته، لكانت الإجابة بالسخط وعدم الرضى، ولولا أنه مضطر إلى ممارستها ليكسب قوته وقوت عياله، لما باشرها.

من هذا نعلم أن الإنسان لا يبذل المال للصانع أو للتاجر أو للعامل أو للمعلم لأنه أخوه، أو لأنه محتاج إلى المال، بل لأنه يقوم له بعمل ما مقابل هذا المال المبذول، وبالتالي لا يعمل العامل، ولا ينتج الصانع، ولا يبيع التاجر، ولا يؤدب المعلم لأن الناس اخوة له، أولأنهم محتاجون إلى ما يقدمه لهم، بل ليحصل على المال مقابل ما يقوم به من عمل، ولذلك نجد المجتمعات التي قامت على أساس هذه الروابطُ، مجتمعات حاقدة مبغضة، ليست راضية ولا قانعة، حتى أصبحت تلك المجتمعات مرتعاً خصباً للمبادىء الهدامة التي لا تنتشر إلا في الظلام، ولا تعيش إلا في المستنقعات، وبهذا نتبين الفرق هائلا بين تفسير الإسلام لمعنى التعاون الحاصل بين الناس، حيث يربطه بمعان روحية سامية، ويقيمه على قواعد الأخوّة الحاصلة بين بني آدم أجمعين.

ولقد فقه المسلمون فعلاً هذا المعنى وعاشوا فيه، وإن موقف عثمان بن عفان رضي الله عنه، من تجارته التي جلبت إلى المدينة المنوّرة في عام قحط وشدّة، لأوضح شاهد على تأصل معنى الأخوّة في علاقات المسلمين بعضهم ببعض، حضرت هذه التجارة العظيمة والمسلمون في حاجة ماسة إلى الطعام، حيث كان العام عام جدب ومجاعة، وحضر التجار يساومون عثمان رضي الله عنه في ثمنها، حتى بلغوا بها أضعاف قيمتها، وعثمان يرفض، ويصرّ على الرفض، ولما سئل عن سبب رفضه قال: لقد بعتها الى من زادني عما أعطيتموني، بعتها إلى من اشتراها بعشر أمثالها، وتصدق بها على المسلمين.

ومن قبله عمر رضي الله عنه في عام الرمادة، وقد أجدب المسلمون وأجهدهم الجوع، حتى أنهم لم يجدوا ورق الشجر ليأكلوه، فأرسل عمر إلى ولاته يبحثون له بالأرزاق، فلما أحضرت، أخذ يعدّ الطعام بنفسه للمسلمين، ولما

قرقرت بطنه من الجوع، ضرب عليها بيده، وقال: قرقري أو لا تقرقري، فوالله لا تذوقين سمنا ولا عسلا حتى يشبع المسلمون.

على هذه المعاني السامية من الأخوّة والشعور بالمسئولية، بنى الإسلام قواعد المجتمع الذي قامت فيه دولته، وعمّت على أرضه حضارته، ليست هناك مبررات لاستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وليس هناك ما يدعوه لاستغلال حاجته، لأن المبادىء السامية الرفيعة التي ركزها الإسلام، في نفوس الناس، تأبى عليهم أن يكونوا محتكرين أو استغلاليين.

لم تكن هذه المعاملة خاصة بالمسلمين، بل امتدت الى غيرهم ممن يعيشون في كنفهم، ويحتمون بدولتهم، حتى أن عمر رضي الله عنه لما رأى يهوديا أقعدته الشيخوخة وعجز عن العمل، فراح يتكفف الناس، يسألهم ويطرق أبوابهم، قال: يا شيخ ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية قوياً، وضيعناك ضعيفا، وضرب له حصة من بيت مال المسلمين.. وأما تفسير الماديين لهذا التعاون فمبني على حاجة الإنسان للإنسان، وهم يقيمونه على قواعد الضرورة الملحة التي تسخّر الإنسان لأخيه الإنسان، فالعلاقات قائمة ـ عندهم ـ بين إنسان ما، وبين الصانع ـ مثلا ـ ما دام الإنسان في حاجة إلى الصانع، فأنا أقدم له القماش، وهو يقوم بحياكته، حتى إذا أخذت ثوبي وأخذ أجرته، انقطعت العلاقات التي بيننا حتى أحتاج إليه.. وهكذا، فإذا وجدت العلاقة مستمرة بين التاجر والصانع بعد انقضاء حاجة كل منهما، فلا بدّ أن يكون هناك علاقة غير علاقة الضرورة والحاجة الملحة، فما هي إذن تلك العلاقة؟؟ إنها علاقة الإنسان بالإنسان للمعنى السامي الذي يدقّ على أفهام الماديين فلم يدركوه، وخفي على أذواقهم فلم يحسوه وذلكم هو المعنى الذي أقام عليه الإسلام مجتمعه، بمعنى الأخوة والشعور بالمسئولية، ولهذا نلمح عتابا رقيقا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين أقسم ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً، وكان مسطح قد اشترك في حديث الإفك، وممن خاض فيه، وكان أبو بكر رضي الله عنه من قبل ينفق على مسطح لفقره

وحاجته، فلما اشترك في حديث الإفك أقسم ألا ينفق عليه، فعاتبه الله تعالى بهذا العتاب الرقيق.

إن علاقة الإنسان بالإنسان في الإسلام ليست قائمة على أسس مادية، فأبو بكر ينفق على مسطح ما دام ماشياً في ركابه، فإذا خرج عليه تنقطع النفقة، وإنما العلاقات قائمة على أساس الأخوة، والأخوة بين المسلمين قائمة لا تنقطع، سواء ساءت العلاقات بين الرجلين أم لا؟ ذلك لأن الأصل في العلاقات بين المسلمين أن تكون حسنة، فإذا ساءت، فإنما ذلك لأمر طارىء، يزول سوء العلاقات بزواله، والأمور الطارئة يجب ألاّ تؤثر في الأمور الثابتة المقررة.

نعم إن مسطحا أخطأ في حق أبي بكر، ولكن الخطيئة هفوة يمكن التوبة منها، والإقلاع عنها، فهي إذن لا يمكن أن تكون أساسا للعلاقات بين الناس، ولهذا ذكر الله ـ عز وجل ـ أبا بكر رضي الله عنه بأن كل الناس يخطئون، ويتوبون، فيتوب الله عليهم ويعفو عنهم، فما لكم لا تعاملون بعضكم بهذا الخلق الفاضل؟ يقول سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

إن العلاقات بين بعض أفراد المجتمع المسلم أوشكت أن تنقطع، لخوض مسطح في عرض أبي بكر، وأوشكت النزعة البشرية أن تتغلب في هذا الموقف الحرج، ولكن القرآن الكريم الذي بنى علاقات هذا المجتمع، ووضع أسسها القويمة، يرد هذه النزعة في لطف يعيد إلى النفوس صفاءها، ويرد إلى القلوب طهارتها، وإلى الصدور سلامتها، فيذكرها أن الخطيئة من طبيعة الإنسان، وأن العفو والصفح من الشّيم الفاضلة التي يعامل الله سبحانه بها عباده المخطئين، ثم يوجه اليهم هذا السؤال التقريري: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[2]، حينئذ

(١) سورة النور: ٢٢.

(٢) سورة النور: ٢٢.

يعمل هذا العتاب الرقيق عمله في نفس الصدّيق رضي الله عنه، ويؤتي ثمرته، ويحرّك وجدانه للخير، فيترفّع عن أن يعامل مسطحا بمثل ما عامله به، بل ينسى للناس جميعا خوضهم في عرضه، وثلمهم لشرفه، وتتجاوب نفسه المؤمنة التي تربّت في مدرسة النبوة الفاضلة، ويجيب: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ويرضى عن مسطح، ويعيد اليه نفقته، ويحلف: والله لا أنزعها منه أبدا.

وهكذا تعود العلاقات بين أفراد المجتمع في خطها الذي رسمه لها الإسلام، محبة ووئاما، وصفاء وسلاما، ذلك لأن الإسلام يرفض أن تعيش جماعته ممزقة الشمل، مقطّعة الأوصال، يعيش كل فرد منها في عزلة عن الآخرين».[1].

(٥) التأكيد على المسئولية الجماعية: وذلك من خلال الخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعية، كقوله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3]، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[4] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[5]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[6]،

(١) القيادة والجندية في الإسلام ١/١٠٦-١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

(٤) سورة الأنفال: ٢٥.

(٥) سورة التوبة: ١٢٣.

(٦) سورة محمد: ٧.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ...﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[2].

(٦) الحض على الجماعية حتى في الشئون العادية من الحياة: وذلك مثل: السفر، والمبيت، والطعام، وسائر العادات، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في الوحدة، لم يسر راكب بليل وحده أبدا»[3]، ونهى عليه الصلاة والسلام عن الوحدة: «أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده»[4]، وشكا إليه بعض أصحابه قائلين: يا رسول الله، إنا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعلكم تأكلون متفرقين» قالوا: نعم، قال: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه»[5] وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «كلوا جميعا، ولا تفرقوا، فإن البركة مع الجماعة»[6]. وهكذا كان صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصورة العملية للإسلام ـ يحض على الجماعة حتى في العادات، ليحمل المسلم حملا على الارتماء في أحضان الجماعة، والالتزام بما لها من ضوابط وآداب، فيما هو أكبر وأهم من الأخلاق والعادات.

(٧) الأمر بلزوم الجماعة صراحة مع بيان فوائدها: وأخيرا لا يكتفي

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) سورة الصف: ١٠ ـ ١١.

(٣) الحديث أخرجه الدارمي في: السنن: كتاب الاستئذان: باب أن الواحد في السفر شيطان ٢/ ٢٨٩ من حديث ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعا به.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢/ ٩١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا به.

(٥) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الأطعمة: باب الاجتماع على الطعام ٢/ ١٠٩٣ رقم ٣٢٨٦ من حديث وحش بن حرب ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به.

(٦) الحديث أخرجه ابن ماجه في: السنن: كتاب الأطعمة: باب الاجتماع على الطعام ٢/ ١٠٩٣-١٠٩٤ رقم ٣٢٨٧ من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به.

الإسلام بتلك السبل أو الأساليب التي ذكرنا آنفا، بل ينص صراحة على لزوم الجماعة مع بيان فوائدها، لئلا يكون هناك مجال لتمحّل أو تأويل، فيقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1]، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[5].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : « .. وإياكم والفرقة ، وعليكم بالجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»[6]، «من فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه»[7]، «من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة»[8]، «يد الله مع الجماعة»[9]، «...تلزم جماعة المسلمين

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٤) سورة الأنفال: ٤٦.

(٥) سورة الروم: ٣١ ـ ٣٢.

(٦) الحديث سبق تخريجه.

(٧) الحديث أخرجه أبو داود في: السنن: كتاب السنة: باب في قتل الخوارج ٢٤١/٤ رقم ٤٧٥٨ من حيث أبي ذر مرفوعا به، وأخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الفتن: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أمورا تنكرونها ٥٩/٩، ومسلم في الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجود ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٤٧٦/٣-١٤٧٨ من حديث ابن عباس، وأبي هريرة، وجندب بن عبد الله البجلي وابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم جميعا ـ مرفوعا بنحوه.

(٨) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٢٣٠/١ ـ ٢٣١ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر بنحوه.

(٩) الحديث سبق تخريجه.

وامامهم...»[1]، «..وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهنّ: بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع».. قالوا: يا رسول الله، وإن صلى وصام، قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[2]، «إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة»[3].

إلى غير ذلك من النصوص التي تدل دلالة قطعية ـ لا تحتمل تأويلا ـ على فرضية لزوم الجماعة، والتي تؤكد أن البعد والتفرد والعزلة هذه، كلها تعني: الشتات والذل، والهوان في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

الفصل الخامس

منهج الإسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية

انتهى بنا الحديث فيما مضى إلى أن الإسلام ينظر إلى كل من الفردية والجماعية على أنها أمر فطري وأصيل عند الإنسان لا يصح النفور منه، ولا تجوز محاربته، ولذلك يفرض فرضا، ويوجب وجوبا أن يلقى الإنسان بنفسه في

(١) الحديث جزء حديث طويل أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الفتن: باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٦٥/٩، ومسلم في: الصحيح: كتاب الإمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٤٧٥/٣ رقم ١٨٤٧ كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعا به.

(٢) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد في: المسند ٢٠٢/٤ من حديث الحارث الأشعري مرفوعا به.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٤٣/٥ من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه مرفوعا به.

أحضان الجماعة، وألا ينسلخ عنها لحظة من اللحظات، ولو كان هناك كدر أو منغّصات، إذ يقول سيدنا علي ـ رضي الله عنه ـ «كدر الجماعة خير من صفو الفرقة»[1].

والإسلام بهذا يشبع جانبا فطريا عند الإنسان، ألا وهو الميل إلى مخالطة الجماعة والعيش معها، ومعايشتها، لكنه في نفس الوقت يحتفظ للإنسان بفرديته، ويحرص عليها حرصا شديدا ألا تخدش هذه الفردية مهما تكن الأسباب والمبررات، وله في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية، منهج فريد يمكن تلخيصه فيما يأتي:

(١) الفهم أو الوعي: والمراد به أن يفهم الفرد ضرورة الجماعة وأهميتها في حياته، وضوابط العمل معها، وأثر سلوكياته على وجودها ونجاحها، هذا من ناحية، فإن هذا الفهم يجعله حريصا على لزومها، وعدم التخلي عنها مهما تكن الظروف والملابسات، وهو كذلك يحمله على الالتزام بضوابط العمل معها، وبذل أقصى ما في وسعه وما في طاقته، ليبقى لها الاستمرار، وليتحقق لها النجاح. ومن ناحية أخرى أن تفهم الجماعة منزلة ومكانة الفرد فيها، وحقوقه عليها، وأثر تمكينه من نيل هذه الحقوق، فإن هذا الفهم يحملها على أن تحرص على هذا الفرد، وألا تتخلى عنه إلا إذا تأكد لها أن وجوده بينها عنصر تعطيل لمهمتها أو رسالتها[2].

ويشهد لهذا الجانب من المنهج، الواقع نفسه، فإن الواقع ناطق بأن من جهل شيئا عاداه، كما قال الحق سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[3]، كما يشهد له تربية الله لرسوله الكريم، ولجماعة المؤمنين أول مرة، فإن هذه التربية بدأت ودارت حول تعريف الإنسان بنفسه، وبربه،

(١) الأمثال والحكم لأبي الحسن الماوردي ص ١٨٥.

(١) المسئولية الاجتماعية، والشخصية المسلمة للدكتور سيد عثمان ص ٤٦ ـ ٤٧ بتصرف كثير.

(٢) سورة يونس: ٣٩.

وبالكون المحيط به، وكيفية تعامله مع إخوانه، وكيفية تعامل إخوانه معه، هذا فضلا عن كيفية تعامله مع ربه، ومع الكون المحيط، حتى إذا وصلت هذه الحقائق إلى القلوب، وتفاعلت بها، وصارت كأنما هي جزء منها، كانت الجماعة المسلمة التي وصفها الحق ـ سبحانه ـ بقوله: « أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ »[1]، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ »[2]، والتي لم تشهد لها البشرية مثيلا من قبل.

(٢) المشاركة الفعالة: وذلك بأن يقوم كل فرد في الجماعة بدوره على النحو الذي ينبغي، من تنفيذ ما يكلف به من واجبات، ما دامت هذه الواجبات في المعروف، ومن بذل النصيحة، شريطة أن تكون في ثوبها اللائق بها، ومن إعمال للفكر بما يعود على الجماعة بالخير والمصلحة[3].

(٣) رعاية الجماعة للفرد: وذلك بأن تقوم الجماعة بواجبها نحو الفرد، من رعايته المتمثلة في إعطائه حقه، والسؤال عنه، وعلاج ما يعترض طريقه من صعاب وعقبات، وإعمال كل طاقاته ومواهبه فيما يناسبها من ميادين أو مجالات، بل والإجابة عن كل تساؤلاته أو استفساراته، والنظر لمقترحاته بعين التقدير والاعتبار.

(٤) دوام القرب من الله: وذلك بأن يواظب كل فرد من الجماعة على ما يجعله ربانيا، فإن هذه الربانية ما تنشأ في النفس إلا بعد طهارة القلوب وصفائها،

---

(١) سورة الفتح: ٢٩.

(٢) سورة الفتح: ١٠٠.

(٣) المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، ص٤٧ ـ ٥٠ بتصرف كثير.

وحين تطهر القلوب وتصفو يكون الحب والتآلف والترابط بين كل أفراد الجماعة، إذ القلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[1]، ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[2]، إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: «اني أحب فلانا فأحبه» قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل، فيقول: «إني أبغض فلانا فأبغضه» قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض»[3].

وإنما تتحقق الربانية بالبعد عن المعاصي والسيئات، صغيرها وكبيرها، ثم الإقبال على الطاعات بدءا بالمحافظة على الفرائض، وانتهاء بالمواظبة على النوافل مع اتباع السنة في كل ذلك . ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، **﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب الى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله،**

(١) سورة الأنفال: ٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب المقت من الله تعالى ١٧/٨، ومسلم في: الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب إذا أحب الله عبدا حببه الى عباده ٤/ ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧، كلاهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا واللفظ لمسلم، ولم يذكر البخاري البغض.

(٤) سورة آل عمران: ٣١.

ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته﴾[1].

(٥) استشعار المسئولية: وذلك بأن يستشعر الفرد المسئولية الفردية والجماعية، لا سيما تلك التي تكون غدا بين يدي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فإن استشعار هذه المسؤولية يحمله على تنفيذ كل الخطوات التي قدمنا من أجل العيش والتعايش مع الجماعة.

وسنرى بعد قليل، كيف كان الخوف من هذه المسئولية دافعا لكل فرد في الجماعة المسلمة التي رباها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول مرة أن يقوم بواجبه بدقة وإتقان، لا فرق في ذلك بين أمير ومأمور، سيد أو عبد.

الفصل السادس
الفردية والجماعية في حياة الرعيل الأول من المسلمين

وإذا نحن قلبنا صحائف التاريخ الإسلامي، ورجعنا بذاكرتنا إلى وراء: الى حياة الرعيل الأول من المسلمين، فإننا نجد أن هذه الفردية، وتلك الجماعية، قد تجسدتا واقعيا حيا في كيانهم، وفي دنيا الناس، ولكن بتناسق، وتوافق، وانسجام

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الرقاق: باب التواضع ١٣١/٨ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا به، وأخرج أحمد في: المسند ٢٥٦/٦ نحوه من حديث عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «قال الله ـ عز وجل ـ من أذلّ وليا فقد استحل محاربتي، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته، لأنه يكره الموت، وأكره مساءته». وأخرج ابن ماجة في: السنن: كتاب الفتن: باب من ترجى له السلامة من الفتن ١٣٢٠/٢ رقم ٣٩٨٩ نحوه مرفوعا من حديث معاذ ـ رضي الله تعالى عنه.

عجيب، ذلك أن الكل أدرك قيمة الجماعية والفردية على كيانه، وفي واقع الحياة، فحرص على الارتماء في أحضان الجماعة، والانضواء تحت لوائها، ملتزما بكل الضوابط والآداب التي لا بد منها لسلامة هذه الجماعة، والحفاظ على كيانها، في الوقت الذي بقي محتفظا فيه بفرديته أو ذاتيته، دون ذوبان أو تلاش، إذ لم يذكر لنا هذا التاريخ على طول وامتداد مرحلته المذكورة آنفا أن مسلما واحدا تمكن الإسلام من قلبه وخالطت حلاوته بشاشة هذا القلب، انفض عن الجماعة، وعاش في عزلة بعيدا عنها، إلا ما كان من نفر قليل من هذا الرعيل، آثر العزلة زمن الفتن، وعذره أنه عز أو صعب عليه أن يستبين المحق من المبطل، لا سيما والكل مشهود له بالصحبة، وبمشاهدة الوحي والتنزيل، ومع هذه العزلة، فإنه لم ينقطع عن المشاركة في الفتوحات الإسلامية، وتحرير الأرض من كل سلطان إلا من سلطان الله ـ عز وجل.

كذلك لم يذكر لنا هذا التاريخ أن واحدا في المسلمين لزم الجماعة ثم صار إمّعة، إن أحسن الناس أحسن، وإن أساءوا أساء، بل على العكس، كان يحسن إذا أحسن الناس، ويجتنب إساءتهم إن أساءوا، مع النصيحة، والدعوة إلى الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الذي كان يمثل بنبوّته وإمامته وقيادته الحكيمة: الجماعة المسلمة التي ظهرت أوّل مرة، لم يعرف عنه ـ وهو المعصوم المؤيّد بالوحي ـ أنه انفرد بأمر دون أصحابه، ما دام هذا الأمر خاضعا للاجتهاد والرأي، لقد كان يشاورهم، ويحترم وجهة نظرهم، ويأخذ بها في كثير من الأحيان، وما مشاوراته لهم في بدر، وأحد، والخندق، وحادثة الافك، والحديبية ونحوها، إلا برهان صدق، ودليل حق على ذلك. وإلى جوار هذا كان شديد الحرص عليهم، دائم السؤال عنهم، رؤوفا رحيما بهم، يفديهم بنفسه في مواطن الشدة، ويقدمهم على نفسه في مواطن الرخاء.

يقول البراء ـ رضي الله عنه ـ: «كنا والله، إذا احمرّ البأس نتقي به، وإن

الشجاع منا للذي يحاذى به ـ يعني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ»[1].

ويقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «كنا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه»[2]، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس الى الصوت وهو يقول: «لن تراعوا، لن تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة عري، ما عليه سرج، في عنقه سيف[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: «الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمرّ فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي، وما في وجهي، ثم قال: «يا أبا هرّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال:

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الجهاد والسير: باب في غزوة حنين ١٤٠١/٣ رقم ٧٩ من حديث البراء ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «جاء رجل الى البراء فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ما ولّى، ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برشق من نبل، كأنها رجل من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزّل نصرك»، قال البراء: كنا والله إذا احمرّ البأس نتقي به.. الحديث.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١٥٦/١ من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا به.

(٣) الحديث قطعة من حديث: أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الأدب: باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل ١٦/٨ من حديث أنس ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا بلفظ: «كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة... الحديث».

«الحق»، ومضى، فتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنا في قدح، فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة» قال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «إلحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها اليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا للبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله، وطاعة رسولة ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدّ، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجلسهم من البيت، قال: يا أبا هر، قلت:لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه للرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: «يا أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت»، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، قال: «اشرب»، فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا، قال: «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمّى، وشرب الفضلة»[1].

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يفدي كل واحد في هذه الجماعة الناشئة بنفسه في ساعات الشدة، ويقدمه في ساعات الرخاء، ولما عرف

(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخلّيهم من الدنيا ٨/١١٩-١٢١، والترمذي في: السنن: كتاب: صفة القيامة: باب منه ٤/٦٤٨-٦٤٩ رقم ٢٤٧٧، وأحمد في: المسند ٢/٥١٥، كلهم من حديث أبي هريرة مرفوعا، واللفظ البخاري، وعقّب الترمذي على روايته بقوله: «هذا حديث حسن صحيح».

الصحابة منه صلى الله عليه وسلم ذلك، أحبوه من كل قلوبهم، وفدوه بالمهج، والأولاد والأهل، والأموال، حتى صار أولى بأنفسهم من أنفسهم، ولكن هذا لم يمنعهم من المراجعة وإبداء الرأي فيما يعرفون أنه ليس وحيا، وإنما محل اجتهاد ونظر. يقول أبو هريرة: كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا[1]، وفزعنا، فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أتيت حائطا للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابا، فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة ـ فاحتفزت كما يحتفز الثعلب[2]، فدخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فقال: «أبو هريرة؟» فقلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما شأنك؟»، قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي، فقال: «يا أبا هريرة» وأعطاني نعليه، قال: «اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة»، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثني بهما، من لقيت يشهد ألا إله إلا الله مستقينا بها من قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمرا بيده بين ثديي، فخررت لاستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ما لك يا أبا هريرة؟» قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي، قال: ارجع، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «يا عمر، ما حملك على مافعلت؟» قال: يا رسول الله، بأبي

(١) وخشينا أن يقتطع دوننا معناه: خفنا أن يصاب بمكروه من عدو ونحوه.

(٢) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب يعني تضاممت وتداخلت ليسعني المدخل.

أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد ألا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، بشّره بالجنة؟ قال: «نعم»، قال»: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «فخلّهم»[1].

ولم تختلف الحال في عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، عنها في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فهذا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقوم بأمر المسلمين، فيمثل قيادة أو رأس الجماعة، ثم لا ينسى دوره نحو كل واحد من هذه الجماعة، إذ كان يقضي للعجوز حاجتها، ويحلب لها شاتها، ويوصي برد ما أخذ من بيت المال للأمة، ويسمع لهم، بل وينزل عن رأيه في بعض الأحيان الى رأيهم، وهم كذلك يعينونه على أمره بلزوم الجماعة، والطاعة في المعروف، وبذل النصيحة مع الصدق والإخلاص.

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقالا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضا سبخة، ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا إياها لعلنا نحرثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالا إن كانت أرضا سبخة ولا ينتفع بها؟، قالوا: نرى أن نقطعهما إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم، فأقطعهما إياها وكتب لهما كتابا بذلك، وأشهد عمر وليس في القوم، فانطلقا الى عمر يشهدانه، فوجداه قائما يهنأ بعيرا له، فقالا: إن أبا بكر قال: اشهد بما في هذا الكتاب، فيقرأ عليك أو تقرأ، فقال: أنا على الحال الذي تريان، فإن شئتما فاقرءا، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما؟ قالا: بل نقرأ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاه فتذمّرا، وقالا مقالة شنيعة، فقال: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتألفكما، والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما، فأقبلا الى أبي بكر وهما

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ١/٥٩ـ٦١ رقم ٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا به.

يتذمران، فقالا: والله ما ندري، أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو لو كان شاء، فجاء عمر وهو مغضب، فوقف على أبي بكر، فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين أهي لك أم للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة، فقال: ما حملك على أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ فقال: استشرت هؤلاء الذين حولي، فأشاروا علي بذلك، قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعهم أو أوسعتهم مشورة ورضا؟، فقال أبو بكر: ـ رضي الله تعالى عنه ـ قد كنت قلت لك: إنك أقوى على هذا، ولكن غلبتني[1].

ومثل أبي بكر في هذاا لشأن عمر، وعثمان، وعلي ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ونختم حديثنا في هذا الفصل بذكر ثلاثة نماذج، تصور لنا أداء هذا الرعيل لواجب النصح والارشاد تجاه الجماعة، دون أن يحملهم ذلك على أن ينفضّوا أو يعتزلوا هذه الجماعة.

الأول في عهد عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وخلاصته: أنه جاءت عمر برود من اليمن، ففرقها على الناس، بردا بردا، ثم صعد المنبر يخطب، وعليه حلة منها ـ أي بردان، فقال: اسمعوا رحكمكم الله، فقام إليه سلمان، فقال: والله لا نسمع، والله لا نسمع، فقال: فلم يا أبا عبد الله؟ فقال: يا عمر، تفضلت علينا بالدنيا، فرقت علينا بردا، بردا، وخرجت تخطب في حلة منها؟ فقال: أين عبد الله بن عمر؟ فقال. ها أنذا يا أمير المؤمنين، قال: لمن هذين البردين الذين عليّ؟ قال: لي، فقال لسلمان: عجّلت عليّ يا أبا عبد الله، اني كنت غسلت ثوبي الخلق، فاستعرت ثوب عبد الله، فقال: أما الآن فقل، نسمع ونطع[2].

والثاني في عهد عثمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقد أخرجه أحمد عن رجل

(١) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ص٤٣ـ٤٤، وعنه نقل الطنطاويان في أخبار عمر، ص٣٣٩ـ٣٤٠.

(٢) انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ص١٣٤، وعنه نقل الطنطاويان في: أخبار عمر، ص١٧٣.

قال: كنا قد حملنا لأبي ذر ـ رضي الله عنه ـ شيئا نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربذة، فسألنا عنه فلم نجده، قيل: استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهي بمنى، فبينا نحن عنه إذ قيل له: إن عثمان ـ رضي الله عنه ـ صلّى أربعا، فاشتد ذلك عليه، وقال قولا شديدا، وقال: صلّيت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ثم قام أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ فصلى أربعا، فقيل له: عبت على أمير المؤمنين شيئا ثم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا وقال: «إنه كائن بعدي سلطان، فلا تذلّوه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وليس بمقبول منه توبة حتى يسد ثلمته، وليس بفاعل، ثم يعود فيكون فيمن يعززه»، أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تغلبونا على ثلاث: نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونعلم الناس السنن[1].

والأخير في عهد عثمان كذلك، وقد أخرجه عبد الرزاق عن قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبا بكر، وعمر، وعثمان ـ رضوان الله عليهم ـ صدرا من خلافته، كانوا يصلون بمكة، وبمنى ركعتين، ثم ان عثمان صلاها أربعا، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعا، فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعا؟ قال: الخلاف شر[2].

---

(٢) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١٦٥/٥ من حديث القاسم بن عوف الشيباني عن رجل، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد ٢١٦/٥، عازيا إياه الى المسند، ومعقّبا عليه بقوله «وفيه راو لم يسمّ، وبقية رجاله ثقات، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة ٢/٢ـ٣.

(١) الحديث أخرجه عبد الرازق في: المصنف: كتاب الصلاة: باب الصلاة في السفر ٥١٦/٢ رقم ٤٢٦٩ من حديث معمر عن قتادة به، وعنه نقل الشيخ محمد يوسف في: حياة الصحابة ٣/٢.

الـخاتمة

كشفت لنا هذه الدراسة: «شخصية المسلم بين الفردية والجماعية، على ضوء الكتاب والسنة» عن نتائج عدة في غاية الأهمية، ودونك هذه النتائج:

النتيجة الأولى: أن النفس الإنسانية مؤلفة من طائفة من الغرائز: تشبه الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية، كل غريزتين منها متجاورتان في هذه النفس، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه: الخوف والرجاء، الحب والكره، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال، الاستعلاء والتواضع، الشدة واللين.. وهلم جرا.

النتيجة الثانية: أن لهذه الغرائز الكامنة في داخل النفس الإنسانية دورا بارزا في حياة الانسان، إذا هي عملت جميعا ـ كل واحدة في المجال الذي يناسبها ـ ودون أن تطغى إحداها على الأخرى، إنها حينئذ تعينه على أن يحقق السيادة في الأرض، في ظل العبودية الحقة لله رب العالمين.

النتيجة الثالثة: أن الفردية والجماعية هما أم هذه الغرائز ورأسها، إن عملتا بتوازن وتناسق، عملت باقي الغرائز، وان أهملتا أو عطلتا، أهملت أو عطلت كذلك باقي الغرائز.

النتيجة الرابعة: أن لكل من الفردية والجماعية دورا ايجابيا، وآخر سلبيا على كيان الإنسان، وفي واقع الحياة، والتربية الواعية المتأنية هي التي تحاول إبراز الإيجابيات وتجنب السلبيات.

النتيجة الخامسة: أن الإسلام وحده هو المنهج القادر على إشباع كل من الفردية والجماعية عند الإنسان، بل وتحقيق التوازن والانسجام بينهما > بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى ولم لا يكون كذلك، وهو حكم الله؟ «وَمَنْ

أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ»[1]، أنزله ليكون هداية للإنسان، الذي هو خلق الله: «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾»[2].

النتيجة السادسة: أنه لا بد لصلاح النفس الإنسانية من تحقيق التوازن والانسجام بين الفردية والجماعية: «خالط الناس ودينك لا تكلمنّه»[3].

النتيجة السابعة: إن تحقيق هذا التوازن وذلك الانسجام ليس أمرا سهلا، ولا صعبا إذ قد برز إلى الوجود بصورة عملية في حياة الرعيل الأول من المسلمين، وما وقع ولو مرة واحدة، يمكن أن يتكرر ألف مرة، ومرة، شريطة أن تكون هناك الجدية والمجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[4] والاقتداء والتأسي: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[5].

وفي ضوء هذه النتائج، أذكّر نفسي، وكلّ معنى بهذا الأمر، أعني: أمر ايجاد الشخصية المسلمة الجامعة، والتي شعارها في هذه الحياة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[6].

بضرورة دراسة شخصية المسلم بين كل غريزتين من الغرائز التي تتألف منها هذه الشخصية على النحو الوارد في هذه الدراسة:

---

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) الأثر تقدم تخريجه.

(٤) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٥) سورة الأحزاب: ٢١.

(٦) سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣.

فمثلا تكون هناك دراسة تحت عنوان: «شخصية المسلم بين الخوف والرجاء».

وثانية تحت عنوان: «شخصية المسلم بين الحب والبغض».

وثالثة تحت عنوان: «شخصية المسلم بين الالزام والتطوع».

ورابعة تحت عنوان: «شخصية المسلم بين الشدة واللين».

وخامسة

وسادسة

وسابعة

وهكذا...

بحيث توضع هذه التصورات في أيدي المربّين، فتسهل عليهم مهمة التربية أو نكون قد أعذرنا إلى الله تبارك وتعالى.

هذا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

جريدة المراجع

أخبار عمر	علي وناجي الطنطاويان	دار الفكر/ بيروت/ الثالثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.
الأمثال والحكم	أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب المعروف بالماوردي ت٤٥٠هـ.	دار الحرمين/ قطر/ الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
تاريخ عمر بن الخطاب	أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي - ت٥٩٧هـ	دار الرائد العربي/ بيروت/ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
تفسير القرآن العظيم	الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير، ت٧٧٤هـ.	دار المعرفة/ بيروت/ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
حياة الصحابة	الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي	دار المعرفة/ بيروت.
رسائل الاصلاح	الشيخ محمد الخضر حسين	دار الاصلاح/ الدمام/ السعودية.
السنن	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، ت٣٠٣هـ	دار الكتاب العربي/ بيروت.
السنن	أبو داود سليمان بن الأشعث المعروف بالسجستاني، ت٢٧٥هـ	دار احياء السنة النبوية/ بيروت.

السنن	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالدارمي، ت٢٥٥هـ	دار الكتب العلمية/ بيروت.
السنن	أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة المعروف بالترمذي، ت٢٧٩هـ	دار احياء التراث العربي/ بيروت.
السنن	أبو عبد الله محمد بن يزيد، المعروف بابن ماجة القزويني، ت٢٧٥هـ	دار احياء التراث العربي/ بيروت.
الصحيح	أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ	دار احياء الكتب العربية/ عيسى الحلبي/ القاهرة/ الاولى/ ١٣٧٤- ١٩٥٥م.
الصحيح	أبو عبد الله محمد بن اسماعيل المعروف بالبخاري، ت٢٥٦هـ	دار احياء التراث العربي/ بيروت.
الشوقيات	أحمد شوقي أمير الشعراء	دار الكتاب العربي/ بيروت.
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟	الاستاذ أبو الحسن النووي	دار الأنصار/ القاهرة/ العاشرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المعروف بالهيثمي، ت٨٠٧هـ	دار الكتاب العربي/ بيروت/ الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة.	د.سيد عثمان	الانجلوالمصرية/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
المسند	الإمام أحمد بن محمد المعروف بابن حنبل الشيباني، ت٢٤١هـ	المكتب الاسلامي/ بيروت.
مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة	الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر المعروف بالبوصيري، ت٨٤٠هـ	دار العربية/ بيروت/ الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
المصنّف	عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت٢١١هـ	المكتب الاسلامي/ بيروت/ الثانية/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
منهج التربية الاسلامية جـ١	محمد قطب	دار الشروق/ القاهرة/ بيروت/ الخامسة/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
القيادة والجندية في الاسلام جـ١	د.محمد السيد الوكيل	دار الوفاء/ القاهرة/ الثانية/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الفهرست

الموضوع:	الصفحة
تقديم	١٦٩
مدخل	١٧٢
الفصل الأول: الفردية والجماعية عند الانسان	١٧٣
الفصل الثاني: آثار الفردية والجماعية على كيان المسلم وفي واقع الحياة	١٧٦
أ) الآثار الايجابية للفردية	١٧٦
ب) الآثار الايجابية للجماعية	١٨١
جـ) الآثار السلبية للفردية والجماعية	١٩٠
الفصل الثالث: الفردية والجماعية بين المذاهب الأرضي والاسلام	١٩٢
أ) الفردية والجماعية في نظر المذاهب الأرضية	١٩٢
ب) الفردية والجماعية في نظر الاسلام	١٩٥
الفصل الرابع: منهج الإسلام في تربية الفردية والجماعية	١٩٦
أ) منهج الاسلام في تربية الفردية	١٩٦
ب) منهج الاسلام في تربية الجماعية	٢٠٤
الفصل الخامس: منهج الاسلام في التوفيق وتحقيق التوازن بين الفردية والجماعية	٢١٧
الفصل السادس: الفردية والجماعية في حياة الرعيل الأول من المسلمين	٢٢١
الخاتمة	٢٢٩
جريدة المراجع	٢٣٢

المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير سالم مرزوق الطحيح جامعة الكويت دولة الكويت

هيئة تحرير المجلة

احمد عبد الفتاح عبد الحليم	جامعة الامارات العربية المتحدة	دولة الامارات العربية المتحدة
احمد عبد الله الصباب	جامعة الملك عبد العزيز	المملكة العربية السعودية
شوقي حسين عبد الله	جامعة القاهرة	جمهورية مصر العربية
صادق محمد البسام	جامعة الكويت	دولة الكويت

* تقبل المجلة الأبحاث الاصيله والمبتكرة في نطاق العلوم الادارية الأساسية والمجالات الأخرى ذات الصلة وذلك بما يعود بالنفع على الباحثين والممارسين في مجال الادارة ، التمويل والاستثمار ، التسويق ، نظم المعلومات الادارية ، الاساليب الكمية في الادارة ، الادارة الصناعية ، الادارة العامة ، المحاسبة ، الاقتصاد الادارى ، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية.

* تخضع كافة الأبحاث المنشورة للتحكيم من قبل هيئة تحرير المجلة وإثنين أو اكثر من متخصصين من ذوى الخبرة البحثية والمكانة العلمية المتميزة. وفي جميع الأحوال يتم التحكيم بشكل سرى ، الأمر الذى يتطلب من الباحثين عدم إظهار ما يشير الى هويتهم في صلب البحث.

تشمل المجلة الأبواب التالية:

- الأبحاث .
- التقارير العلمية التقييمية .
- ملخصات الرسائل الجامعية .
- الندوات والمؤتمرات .
- الحالات العملية

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالى:

المجلة العربية للعلوم الادارية – جامعة الكويت ص.ب ٢٨٥٥٨ الصفاة

هاتف / فاكس : ٢٥٢٨١٢١ [٩٦٥]